الأوضاع السياسية والدينية والثقافية بشبه الجزيرة قبيل عصر النبوة

د. محمد مصطفى أفقير

كلية الآداب والعلوم الإنسانية / وجدة- المغرب

الملخص

يصور العديد من الكتاب والباحثين الحقبة التي سبقت الدعوة على أنها مظلمة ، لا بصيص نور فيها، إذ سادتها الصراعات والحروب والانقسامات الداخلية، يفعلون كما فعلت الإسطوغرافيا الأوربية التي اعتادت أن تسم العصور الوسطى في أوربا بالظلامية، لتعلي من شأن الحقبة الحديثة وعصر النهضة. وظلت هذه الصورة قاتمة عن تاريخ العرب قبل الدعوة، وألصقت بهم سمة الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم. إن هذا الزعم يستدعي مقاربة الموضوع تاريخيا لتسليط الضوء على جانب يعكس المستوى الثقافي الذي كان عليه العربي، من أجل ذلك نجيب، في دراستنا، عن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل من المعقول أن تنزل الدعوة الخاتمة التي يرجى حملها إلى كل سكان الأرض، في أناس لا يحملون أي قيم إيجابية، وليس معهم بذور الحضارة؟ وهل انعدمت في العرب بوادر النهضة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية (فعلا)، خلال المرحلة التي سبقت الدعوة؟.

من يستقرئ مصادر التاريخ ويقلب صفحاتها لفهم أوضاع العرب السياسية والدينية والثقافية بشبه الجزيرة قبيل عصر النبوة، وطبيعة أصحاب الشرائع السماوية والوثنية، وما وصلت إليه من تردّ وانهيار، ويقرأ أحداث التاريخ قراءة تحليلية مستوعبة، ويتدبر آيات القرآن الكريم وأسباب نزولها، يدرك طبيعة المجتمع العربي وتكوينه النفسي والثقافي والعقائدي وتركيبه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، مَن يستقرئ كل تلك المظان ويستنطقها، يكتشف، بالفعل، الصورة المتخلفة والأوضاع المأساوية التي كان يعيشها العرب في شبه الجزيرة، والعالم الغربي الفارسي والروماني (المتقدم نسبياً)، لغياب الوازع الديني. كانت تلك المنطقة من العالم، بما فيها مكة التي تعتبر مركزاً مهماً من المراكز الدولية التجارية والدينية حينئذ، تعيش حالة من التراجع والانحطاط بكل أشكاله.

لكن، وصف مظاهر التخلف والانحطاط في بيئة تنكبت عن الدين الصحيح، لا يعني بالضرورة أن كل السكان كانوا متخلفين وضالين، إنما ذلك الحكم يطلق بالقياس إلى الوضع المعياري الديني الذي كان سابقا(دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام). فكما أن الجاهلية لا تعني بالضرورة الجهل الذي هو ضد العلم، إنما تعني الجهل الذي ضد الحلم، المؤدي إلى الشرك والظلم، فكذلك التخلف الثقافي لا يعني انتفاء الثقافة مطلقا، لأن ذلك لا يعقل، فكل ماهو مكتسب يعد ثقافة؛ طريقة العيش، العادات، طريقة اللباس، وغير ذلك. من هذا المنطلق جاءت الدراسة لتتصف الواقع العربي حينذاك، من خلال وصف وتحليل بعض الجوانب الأخلاقية والدينية والسياسية والثقافية في المجتمع الجاهلي، لرسم صورة تقريبية للواقع. فإذا كانت قيم الوهم والجهل والأمية والخرافة والأسطورة والخيال تسيطر على ساكنة شبه الجزيرة العربية، وتعبث بالعقول والمعتقدات بالفعل، فقد وجدت في المجتمع قيم إنسانية إيجابية راقية زكاها الإسلام كالنجدة والشجاعة والكرم وإغاثة الملهوف وإجارة المظلوم وكفالة اليتيم والعهود. وهذا يصدقه حديث النبي الكريم الذي رواه أبو هريرة: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ". والتتميم يكون في الشيء الذي بدء أو سبق أن كان.

The Political , religious , and cultural conditions in the Arabian Jazeera prior to the era of prophecy

Dr. Muhammed Mostafa Afker

College of Faculty of Arts and Humanities – wjuda - Morocco

Abstract

Many writers and researchers view the pre-Islam era as an epoch of total darkness and obscurity since anarchy, tribal conflicts and wars were the dominant factors. These researchers adopted the European historians who used to portray the middle ages in Europe as a dark period with the intention to the highlight the renaissance period. This gloomy picture on pre-Islam Arabs persisted alongside other characteristics such as arrogance and ignorance; the opposites of tolerance and knowledge respectively.

This misleading vision requires us to approach the matter historically with the aim of casting light on a feature thatreflects the Arabs cultural background. In this I will answer the frequent question: is it consistent that people lacking all civilization potentials assume the responsibility of transmitting the holly message to the world? Weren't there any values in the pre-Islamic era?

A thorough studyof the facts and evidences contained in history books about the cultural, political and economic

conditions in the pre-Islamic Arab peninsula, the overall state of ethical decline of the communities will surely reveal to us not only the nature of the societies and their cultural, spiritual composition but the economic, political and social state as well. Examining all these facts will disclose the dramatic conditions that the Arabians, the Persians and Romans used to witness at the time due to lack of religious instinct, that part of the world including Mecca, which was an important international commercial and religious center, experienced a state of regression and decadence in all its aspects

But depicting features of backwardness and decadence doesn't necessarily means that the peoples were conflicting and astray. Viewing that era as such had largely to do with the previous religious circumstances (cult of Abraham and Ismail) peace be upon them. As intolerance doesn't necessarily mean ignorance that leads to polytheism and injustice, cultural backwardness doesn't necessarily mean a total absence of culture. This is illogic. Culture encompasses everything that's acquired by humans: life style, traditions, clothing…

For this aim, this study is carried out to honor that era of the Arab history through depicting and analyzing some ethical, religious, political and cultural aspects of the community and draw a close picture of the very circumstances at the time.

Although features of illusion, ignorance, myth and legendry characterized the communities of the Arabian Peninsula, there were also positive values of courage, hospitality, solidarity, keeping promises that were consolidated by Islam.The prophet Mohammad said "I was sent just to complement noble values" to complement something that already exited .

المقدمة :

مَن يستقرئ سجل التاريخ ويقلب صفحاته التي تحدثت عن أوضاع العرب، وطبيعة أصحاب الشرائع السماوية والوثنية، وما وصلت إليه من تردّ وانهيار، ويقرأ أحداثه قراءة تحليلية واعية، ويتدبر آيات القرآن الكريم وأسباب نزولها، يدرك طبيعة المجتمع العربي وتكوينه النفسي والثقافي والعقائدي وتركيبه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، مَن يستقرئ كل تلك المظان ويستنطقها، يكتشف الصورة المتخلفة والأوضاع المأساوية التي كان يعيشها العرب في شبه الجزيرة، والعالم الغربي الفارسي والروماني المتقدم (نسبياً)، **لغياب الوازع الديني**. كانت تلك المنطقة من العالم، بما فيها مكة التي تعتبر مركزاً مهماً من المراكز الدولية التجارية والدينية حينئذ، تعيش حالة من التراجع والانحطاط بكل أشكاله.

وصف مظاهر التخلف والانحطاط في بيئة تنكبت عن الدين الصحيح، لا يعني بالضرورة أن كل السكان كانوا متخلفين وضالين، ولكن ذلك الحكم يطلق بالقياس إلى الوضع المعياري الديني الذي كان سابقا(دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام). فكما **أن الجاهلية لا تعني بالضرورة الجهل الذي هو ضد العلم، إنما تعني الجهل الذي ضد الحلم، المؤدي إلى الشرك والظلم، فكذلك التخلف الثقافي لا يعني انتفاء الثقافة مطلقا، لأن ذلك لا يعقل، فكل ماهو مكتسب يعد ثقافة؛ طريقة العيش، العادات، طريقة اللباس، وغير ذلك. يعني أننا نصف الوضع الغالب على المجتمع، في الجوانب الأخلاقية والدينية والسياسية والثقافية، لتقريب الصورة الحضارية ورسم صورة عن الواقع. فلقد كانت قيم الوهم والجهل والأمية والخرافة والأسطورة والخيال تسيطر على ساكنة شبه الجزيرة العربية، وتعبث بالعقول والمعتقدات**، فلم يكن في مكة مَن يعرف القراءة والكتابة غير عدد قليل يعدّ على رؤوس الأصابع كما يذكر المؤرخون[1]. ومن الجدير بالذكر، هنا، أن مكة كانت بلد التوحيد، ومنطلق **الدعوة** أيام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، اللذين بعثا قبل بعثة **أحمد** ﷺ بحوالي ٤٠٠٠ سنة تقريبا. غير أن العرب في **مرحلة الفترة**[2] قد فقدوا

الاتصال بالعمق التاريخي والحضاري والديني، لغياب **النبي** والمصلح والكتاب المقدس، غياب ما يعمق وعيهم الحضاري ويرفع من مستواهم الفكري، وينظم حياتهم الاجتماعية والسياسية. كان معظم السكان أعراباً جاهليين يعبدون الأوثان والنجوم والملائكة، وتعبث الجن بعقولهم وقليل منهم كانوا على الحنيفية أو من أتباع المسيح عليه السلام.

ولأجل رسم صورة واقعية عن بعض مظاهر الحياة العربية بشبه الجزيرة والإعداد لخوض غمار البحث في حقيقة الدعوة والدولة في عصر النبوة وإنجازاتها الحضارية جاءت هذه الدراسة التي تتضمن خمس مباحث على الترتيب التالي:

المبحث الأول: جغرافية بلاد العرب

المبحث الثاني: موقع مكة الإستراتيجي

المبحث الثالث: أحوال العرب السياسية

المبحث الرابع: الحياة الدينية

المبحث الخامس: الحياة الثقافية

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي الاستقرائي والتحليلي، بالانطلاق من حالات جزئية لرسم صورة كلية متكاملة مستعينا بالمصادر الأصيلة في الغالب. وحاولت بكل موضوعية أن تنصف البيئة الجاهلية، بوصف أحوال شبه الجزيرة بإيجابياتها وسلبياتها دون تحيز ولا افتئات. **فما مؤهلات شبه الجزيرة العربية؟ وما أحوالها الدينية والسياسية والثقافية قبيل الدعوة والدولة؟.**

المبحث الأول: جغرافية بلاد العرب

يطلق اسم شبه الجزيرة على الأرض التي تحيط بها المياه من جهات ثلاثة. وشبه الجزيرة العربية كما يبدو في الخرائط الطبوغرافية بلاد صحراوية تحيط بها المياه من جهات ثلاثة (الخليج العربي، بحر القُلزم، والمحيط الهندي وبحر العرب)، وتمتد على مساحة شاسعة، وتشمل إلى جانب الصحاري أشكالا جغرافية أخرى كالسهول، والجبال والوديان. **فما موقعها الجغرافي؟ وما أقاليمها الجغرافية؟ وما مؤهلاتها الطبيعية؟.**

تقع ش.ج.ع. شرقي القارة الإفريقية، وجنوبي غربي القارة الآسيوية، يحدها من الشرق الخليج العربي ومن الغرب البحر الأحمر (القلزم)، وبلاد الشام من الشمال، ومن الجنوب بحر العرب والمحيط الهندى. كان يعتبرها المؤرخون القدامى من أفضل البلاد المعمورة، منهم ابن الحائك الهَمْداني(ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). قال في كتابه "صفة جزيرة العرب": "أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس[٣] ماروي، تقطع على أربعة أقاليم، من عمران الشمال إلى الخامس، فجنوبيها: اليمن، وشماليها: الشأم، وغربيها: شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى الُقلزم وفسطاط مصر، وشرقيها: عُمان والبحرين وكاظمة والبصرة، وموسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض، وتسمى جزيرة العرب"[٤]. و تبلغ مساحتها أكثر من ٣٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة ملايين) كيلو متر مربع[٥]، وكذلك قسمها الجغرافيون المعاصرون إلى خمسة أقاليم رئيسية، هي:

. **إقليم تِهامَة:** وهو منطقة ساحلية تطل على البحر الأحمر.

. **إقليم الحجاز:** ويقع شرقي تهامة، ويمتد من الشام شمالاً إلى اليمن جنوبًا، وتقع في هذا الإقليم مكة المكرمة، والمدينة المنورة. وسُمِّيت المنطقة بالحجاز لأنها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق. ومن أبرز مدن الإقليم مدينة الطائف "السياحية" وتتميز بأراضيها الزراعية ومناظرها الخلابة[٦].

. **إقليم نجد:** ويقع شرقي الحجاز وسُمِّيت المنطقة نجدًا لارتفاع أرضها.

. **إقليم العروض:** وهو الجزء الشرقى من شبه الجزيرة العربية، ويطل على الخليج العربي.

. **إقليم اليمن:** وهو الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

وهذه الأقاليم الأربعة الأولى الكبيرة ذات طبيعة صحراوية تتأثر بهبوب **رياح شمالية شرقية وغربية دائمة**، قليلة المياه والتساقطات المطرية، باستثناء إقليم اليمن، الذي تسقط فيه بعض الأمطار الموسمية في الصيف[٧]، مما يسَّر لأهلها حياة مستقرة نتيجة اشتغالهم بالنشاط الزراعي، وساعدهم على إقامة دول قوية ومنظمة، وإقامة حضارة راقية. وقد اشتهر هذا الإقليم باليمن السعيد أو اليمن الخضراء، وذكر

ابن الحائك الهَمْداني(ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) سبب تسميتها قال: "سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب"[٨]. أما بقية أقاليم شبه الجزيرة العربية فقد قلَّت فيها الزراعة أو كادت تنعدم؛ لندرة المياه عدا بعض الواحات التي بها عيون أو آبار، ساعدت على نمو الأعشاب التي ترعاها الماشية، وزراعة بعض المحاصيل كالقمح والشعير[٩]. وفيما يلي تسليط للضوء على الموقع الاستراتيجي لمكة المكرمة. **فكيف تأسست مكة؟ وكيف استوطنتها قريش؟ وما مكانة الكعبة المشرفة، وما أدوارها السياسية والاقتصادية؟.**

المبحث الثاني: موقع مكة الإستراتيجي

تقع مكة المكرمة مكان مولد نبي الإسلام وموطن **الدعوة** في إقليم الحجاز، شرق مدينة جدة بنحو ٧٠ كلم (سبعين كيلومترًا)[١٠] ، وترتبط نشأتها بقصة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث أمر الله تعالى نبيَّه إبراهيم أن يذهب بابنه إسماعيل وزوجه هاجر إلى الوادي الذي في مكة؛ وأن يسكنهما فيه، فامتثل إبراهيم لأمر الله، وهاجر بزوجته هاجر وابنهما إسماعيل إلى ذلك الوادي الجاف، بالمكان القفر الذي لم يكن فيه **دولة** ولا سكان ولا نشاط زراعي أو اقتصادي. وتركهما هناك، وفى هذا يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾[١١]. وفي ذلك حكمة إلهية بالغة.

وإكرامًا للطفل إسماعيل فجَّر الله بئر زمزم، بعد أن يئست أمه هاجر من العثور على الماء، وهى تسعى باحثة عنه بين صخرتي الصفا والمروة[١٢]، لسد الرمق وضمان البقاء، وقد بلغ منهما العطش مبلغه، ولقد أصبح السعي بينهما ركنًا من أركان الحج، **وكان لهذا الحادث بعد تاريخي لازالت آثاره جلية إلى اليوم؛ شكل ماء زمزم عصب الحياة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية في الحجاز كلها. فكيف ذاك؟**

أوجد الله الماء في هذا الإقليم الفقير، البعيد عن الحضارة والخالي من التجمعات السكانية، وهو العنصر الحيوي في الحياة الذي يقوم عليه النشاط الفلاحي، وكل الأنشطة البشرية، مما خلق حياة جديدة وحيوية بمكة، وحركة سكانية مهمة، فقد جذب الرحل والقبائل التي كانت تسكن بالقرب من المنطقة، ومنها جُرهم وقَطُوراءُ[١٣]، هؤلاء طلبوا من هاجر أم إسماعيل عليه السلام السماح لهم بأن ينتفعوا من ماء زمزم، فأذنت لهم ورحَّبت بهم. يذكر الطبري(ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م) أن "جُرهُمُ كانت يومئذ بواد قريب من مكة... فجاءوا إلى هاجر، فقالوا: إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك، قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل، وماتت هاجر فتزوّج إسماعيل امرأة منهم[١٤]؛ آنسوا وحدتها هي وابنها، **وأخذوا يشيدون بيوتهم حول بئر زمزم، ومن هنا كانت نشأة قرية مكة المكرمة، المجمع العمراني والمركز التجاري العربي الشهير**، آنذاك، وفيها عاشت هاجر وابنها إسماعيل بين قبائل جرهم وفيهم بعث نبيا[١٥]، لما اشتد عود إسماعيل عليه السلام تزوج من جرهم، وأنجب أولاده الذين هم أجداد العرب المستعربة[١٦]. واتسع المجال الحيوي لمكة مع مرور الزمن، وزحف إليها السكان وزاد العمران، وذاعت شهرة القرية بين الأقطار والحواضر أكثر فأكثر، بعد أن أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام في إحدى زياراته التفقدية لأحوال أسرته ببناء الكعبة المشرفة[١٧]، فأصبحت مكة مكانًا مقدسًا مقصودا بالزيارة والتجارة، وزادها الله تشريفًا وشهرة في الآفاق بهذا البناء إلى اليوم.

اكتسبت الكعبة المشرفة رمزية دينية تاريخية، وشهرة بشكلها المعماري المتميز؛ فهي بناء مستطيل الشكل تقريبًا، يبلغ ارتفاعه نحو ١٥ مترًا، وعرضه من جهة الشمال والجنوب نحو ١٠ (عشرة) أمتار، ومن جهة الشرق والغرب ١٢ مترًا. ويقع باب الكعبة في الجدار الشرقى، في الاتجاه المقابل لمقام إبراهيم عليه السلام، وفى الجدار الجنوبي منها يقع الحجر الأسود[١٨]، وهي منذ بنائها مثابة للناس وأمن، كما أخبر بذلك الله في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود**﴾[١٩] وقد ظلت ساكنة مكة من قبائل **جُرهُم**[٢٠]، تقوم على

خدمة الكعبة المشرفة ورعاية حجاجها، لما في ذلك من فوائد اجتماعية واقتصادية للساكنة، إلى أن ضعفت، فحلَّ محلها في تلك المسؤولية قبائل خزاعة[٢١]، التي ضعفت هي الأخرى بعد مدة، فخلفتها قبيلة قريش بزعامة قصي بن كلاب[٢٢]، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي[٢٣]، أي الجد الرابع للنبي ﷺ، الذي ينسب إليه جمع شمل القبائل وتوحيدها. واسم قريش له دلالة لغوية وتاريخية تؤكد هذا المعنى فهو يوحي بالاجتماع بعد التفرق. قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م): "وأما اشتقاق قريش فقيل من التقرش وهو التجمع بعد التفرق، وذلك في زمن قصي بن كلاب فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم"[٢٤]. أما ابن هشام(ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م) فقد ذهب إلى معنى آخر هو التجارة وكسب الأموال، وذكر أن اسم "قريش من التقرش وهو التكسب والتجارة"[٢٥]، وبه سميت قريش وهي قبيلة تنسب إلى النضر بن كنانة وهو أبوهم، فكل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه، لأنهم كانوا أصحاب أنشطة تجارية مع الشمال والجنوب مع الشام واليمن، وإلى هذا المعنى الآخر ذهب الجوهري(ت٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، والفراء(ت٣٥٢هـ/ ٩٦٣م)[٢٦]. والمعنيان متقاربان ومتكاملان من الناحية الواقعية، فقد ثبت تاريخيا أن قصيا بن كلاب جمع أبناء عمومته في مكة، وابتكر مجموعة من الإجراءات السياسية لخلق اللحمة الاجتماعية بين أفراد القبيلة، وضمان المكانة الاجتماعية والدينية بين القبائل، كما أنه قد ثبت تاريخيا أن قريشا كانت تشكل أضخم تجمع سكاني بشبه الجزيرة العربية، وأن نشاطهم الاقتصادي الرئيسي هو التجارة[٢٧]. فقد كانت مكة مركزا تجاريا عالميا يربط الشرق بالغرب، حينذاك، وممرا رئيسيا للقوافل التجارية. أبرز تلك الإجراءات السياسية التي قام بها قصي هي إحداث دار الندوة في مكة، وهى أشبه ما يكون بمجلس شورى يتشاور فيه زعماء قريش حول شؤون البلاد، لإصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق الأمن الداخلي. قال ابن سعد(ت٢٣٠هـ) "جعل بابها إلى البيت (الكعبة). ففيها كان يكون أمر قريش كله، وما أرادوا من نكاح أو حرب، ولا يعقدون لواء حرب لهم ولا من قوم غيرهم إلا في دار الندوة[٢٨]. وللإشارة، فقد لقب قصي

بلقب "المجمع" ولا أستبعد أن يكون سبب تسميته بذلك اللقب هو سعيه نحو الإصلاح والتوحيد، ولم الشمل، ولتأسيسه دار الندوة. وفيه قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا *** به جمع الله القبائل من فهر[٢٩].

والملاحظ، أن قصيا حين تزعم مكة كان قد ورث منطقة منهكة ماليا واجتماعيا، بسبب النقص الشديد في المياه، التي ترتبط بها الحياة الاقتصادية. فإن بئر زمزم التي كانت مصدر توفير حاجيات السكان من المادة الحيوية، كانت قد ردمتها قبائل جُرهُم عندما غلبتها خزاعة على أمرها، لتفسد عليها أمر سقاية الحجيج[٣٠]، ولا شك، لتؤثر على أنشطتها الاقتصادية فتنهار. وقيل "أن السيول التي كانت تتعرض لها مكة (هي السبب) فكثيرًا ما كانت تترك كميات عظيمة من الطمي فردمت زمزم مرة وطال اختفاؤها عدة أجيال"[٣١]. وقال العصامي(ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) "نضب مَاؤُهَا لما استحلت جرهم حُرْمَة الْبَيْت"[٣٢]، ويذكر أن لأهل الأخبار تفاسير عديدة حول سبب انحصار مياه بئر زمزم، وتعددها يدل على تضارب الآراء حول المسألة. عموما، لقد تركت مكة على هذا الحال[٣٣] من العوز إلى الماء، الشيء الذي سيؤثر على موسم الحج، وسيؤدي لا محالة إلى تراجع أعداد السياح والحجيج والتجار. والملاحظ أن قصيا بن كلاب تنبه إلى هذا الأمر، وإلى أوضاع مكة المتدهورة، فأحدث نظاما اجتماعيا دينيا ودفاعيا متكاملا للنهوض بشؤونها، وبمتطلبات زوار الكعبة المشرفة من الحجاج والتجار، لرد الاعتبار للموسم السنوي التجاري والرفع من الموارد الاقتصادية. يشمل هذا النظام السِّقاية، وهو جلب الماء للحجاج من آبار بعيدة، والسِّدانة[٣٤]، والرِّفادة وهي إطعام الحجاج، والحِجابة وهى خدمة الكعبة وتولي مفاتيحها، واللِّواء وهو راية الحرب، وكان ذلك كله في يد قصي في حياته[٣٥].

بكلمة، استطاع قصي بهذه الإجراءات أن يصنع الحدث التاريخي بمكة، وأن يعزز مكانتها الدينية والتجارية في المنطقة، واستطاعت تنظيماته التقليدية تلك أن تستمر بعده لمئات السنين، نظرا لنجاعتها وتمكنها في النفوس والمجتمع، غير أن

تلك السلطات لم تعد تتركز في يد واحدة من بعد وفاته، إنما قُسمت هذه المناصب والمسؤوليات بين أحفاده(٣٦).

وإذا كانت تلك أوضاع مكة زمن قصي بن كلاب، الذي استطاع أن يوحد القبائل ويجمع الناس من حوله، ويشرف إشرافا تاما على الكعبة المشرفة وعلى الحرب، **فما هي أحوال العرب السياسية بشبه الجزيرة العربية قبيل الدعوة والدولة؟ وهل عرفت المنطقة دولة بأركانها المعروفة؟.**

المبحث الثالث: أحوال العرب السياسية

لم تكن بشبه الجزيرة العربية **دولة**(٣٧)، ولا حكومة، ولا سلطة سياسية، بل كانت فيها سلطة قبلية، وهي سلطة شيخ القبيلة على أفرادها. ولم تكن هناك أحكام ملزمة من جانب سلطة معينة، بل كان الحكم للأعراف والتقاليد والمصالح والأهواء. **فما الذي حال دون بناء دولة لها نظامها السياسي، وبنية سلطوية حاكمة بشبه جزيرة العرب؟ وما انعكاسات هذا الوضع القبلي على الدعوة؟.**

يرى عالم الاجتماع ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) أن السبب في عدم قدرة العرب في شبه الجزيرة العربية على تشكيل **دولة**، راجع إلى أحوالهم النفسية والاجتماعية والثقافية، التي تمنعهم من الخضوع لهيمنة جماعة بيدها سلطة الحل والعقد، يقول: "إنهم لخلق التوحش الذي فيهم، أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم"(٣٨)، لكونهم في نظره "أكثر بداوة من سائر الأمم، وأبعد مجالاً في القفر، وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها، لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم، فصعب انقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك وللتوحش"(٣٩). ولا يسوسهم إلا من كان عالما بطبعهم الغليظ، وكان من عصبيتهم. وإلى هذا يشير ابن خلدون(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) بقوله: "ورئيسهم محتاج إليهم غالباً للعصبية التي بها المدافعة، فكان مضطراً إلى إحسان ملكتهم وترك مراغمتهم، لئلا يختل عليه شأن عصبيته، فيكون فيها هلاكه وهلاكهم"(٤٠).

من هنا، فإنه لما بُعث **النور الحق**ﷺ، لم يُبعث في أرض تسيطر عليها **دولة**، ولم يخضع لسلطان **دولة**، ولم تواجه دعوته **دولة**. إنما كانت المعارضة والمقاومة من جانب قبائل وبطون تجمعها العصبية الجاهلية، وتربطها روابط اجتماعية قائمة على العادات والعرف والتقاليد، وتجمعها من الناحية الدينية عبادة الأوثان. ومع مرور الزمن، صار جانب من تعديها ومواجهتها ينهار أمام هيبة النبوة، وقوة التنظيم السياسي الذي أسسه بالمدينة، وأمام تأييد بعض شيوخ مكة لجنابه الشريف ﷺ. وهذا الأمر كان في صالح **الدعوة** إلى حد ما، إذ لو أن المواجهة كانت بين **الدعوة** وبين سلطة سياسية منظمة **(دولة)** لكانت المواجهة أشرس، لاصطباغ الصراع بصبغة سياسية كما هو الشأن في الصراع التاريخي (الذي أرخه القرآن الكريم) بين أصحاب الكهف والسلطة الرومانية[٤١]. أصحاب الكهف كانوا فتية شبابًا على دين عيسى ابن مريم عليهما السلام، كانوا من أبناء ملوك الروم[٤٢] وسادتهم، شهدوا بوحدانية الله، وشهدوا أنه لا إله إلا هو، وكان للدولة الرومانية ملك جبار عنيد يقال له: "دقيانوس"، يعبد الأصنام ويفرض عبادتها على المواطنين، فأعلنوا دينهم فأمر الملك بقتلهم فهربوا إلى الكهف، فأمر الطاغية بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك[٤٣]. ونلاحظ، الفرق بين مواجهة قريش للدعوة، ومواجهة مملكة "دقيانوس" لها، فقريش في مواجهتها العنيفة للدعوة استعملت التعذيب والمقاطعة الاجتماعية والسياسية، ولم تلجأ إلى القتل للروابط العائلية والحسابات القبلية المعقدة، إلا في حالة سمية أم عمار(ت نحو ٧ ق.هـ/ ٦١٥م)، والسبب في قتل أبي جهل(٢هـ/ ٦٢٤م) لها، إضافة إلى تحديها له بالثبات على **الدعوة**، إنها لم تكن تنتمي إلى قبيلة قريشية ذات منعة، فقد كانت أمة من الموالي وزوجها من الحلفاء **(فقط)**. يذكر الطبري(ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م) أن سمية "كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بْن مخزوم، فزوجها من حليفه ياسر بْن عامر بْن مالك العنسي، والد عمار بْن ياسر"[٤٤].

المعارضة القرشية لم تلجأ إلى الإبادة الجسدية عكس **الدولة** الرومانية، التي لجأت مباشرة إلى القتل، بالرغم من أن الفتية الموحدين من أبناء الأشراف وأعيان

الدولة، فإن قوة **الدولة** التي تحصل بالعسكر والسلطة السياسية في الدول الثيوقراطية، والدول غير الديموقراطية، تبيح للطغمة الحاكمة استعمال أبشع أساليب المواجهة كالقتل والتشريد، لمحاولات السلطة المستميتة الحفاظ على الوجود والحكم(٤٥).

من المؤكد، أن بعض بلاد العرب عرفت الحياة السياسية المنظمة قبل الإسلام، فقامت فيها دول كثيرة متعاقبة، على خلاف إقليم الحجاز، وبخاصة في اليمن حيث الزراعة والعمران والاستقرار، وكذلك **دولة** معين، و**دولة** قُتبان، و**دولة** أوسان، و**دولة** سبأ(٤٦)، وبها سُميت سورة من سور القرآن الكريم (سورة سبأ). و**دولة** حمير، التي ظلت قائمة حتى احتلتها الحبشة في بداية القرن ٦م، ثم استولى عليها الفرس، وظلت كذلك إلى أن حررها الإسلام من الاحتلال الفارسى، وأسلم أهلها(٤٧). وشهد التاريخ لليمن بإقامة حضارة عظيمة، فاشتهرت ببناء السدود كسد مأرب، لخزن مياه الأمطار والسيول لاستخدامها في النشاط الزراعي؛ في سقي الضيعات الفلاحية. وشكل موقعها الجغرافي المتميز المنفتح على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، عاملا مهما في ازدهار التجارة، مما جعلها مركزًا تجاريّاً كبيرًا بين الشام، والشرق الأقصى، وأوربا، وشرقي إفريقيا(٤٨).

ويذكر، أنه بعد انهيار سد مأرب، وتدهور الحياة الاقتصادية، واختلال الأحوال الاجتماعية، هاجر العرب من اليمن إلى أطراف شبه الجزيرة العربية في الشمال، وأقاموا إمارات عربية، ظلت قائمة إلى ما بعد ظهور الإسلام، فنشأت إمارة المناذرة في العراق، التي يسميها ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) **دولة** بني نصر(٤٩)، وكانت عاصمتها مدينة الحيرة، وإمارة الغساسنة في جنوب الشام(٥٠)، كما هو مبين على الخريطة. ويذكر أن "الغساسنة ملوك الشام، هم بنو عمرو بن مازن ابن الأزد، كانت لهم دمشق وحمص وما حولها، وكانوا عمالا للإمبراطورية الرومانية البيزنطية، يحمون الحدود الشامية من غارات الفرس واللخميين"(٥١). ويذكر أن حكم الغساسنة كان حكما وراثيا ينتقل فيه الحكم في أفراد أسرة آل جفنة.

في أثناء المرحلة التي كانت فيها **دولة** تدمر تتوارى، بعيدا عن المسرح السياسي والحضاري بين العراق والشام، بسبب انهزامها أمام الجيوش الرومانية في عام ٢٧٣م(٥٢). كان تاريخ شبه الجزيرة العربية يتشكل من جديد كأنه يعد للمستقبل، وفي ظل الظروف الاقتصادية التي أحاطت باليمن، من انهيار سد مأرب، ثم حدوث سيل العرم، وغيره من أحداث أدت إلى اضمحلال **دولة** حمير اليمنية، كل ذلك وغيره كان سببا في أن تهاجر قبائل بأسرها من جنوب بلاد العرب إلى شمالها، بحثا عن أرض جديدة(٥٣). وكانت الضريبة السياسية لهذه الدينامية السكانية زعزعة استقرار **دولة** الفرس و**دولة** الروم، من قبل المهاجرين العرب الجنوبيين. الأمر الذي اضطرهما إلى إنشاء حصون على أطراف الصحراء، ومد الطرق العسكرية ليأمنوا غارات قبائل البدو، وليسهلوا طرق التجارة، فاتخذ الفرس قبائل من العرب عرفوا باللخميين أو المناذرة، كما اتخذ الرومان أولا قبائل من بني سليح، ثم قبائل من بني غسان أعوانا لهم(٥٤). وهكذا جاءت عقب **دولة** حمير و**دولة** تدمر دويلتان في الشمال على الحدود الفارسية والرومانية. ففي القرن ٥ و٦م ازدهرت حول دمشق مملكة الغساسنة الحليفة للرومان، وفي الوقت ذاته ازدهرت دويلة المناذرة اللخميين في الحيرة، بالقرب من ضفاف الفرات، مما جعل المناذرة والغساسنة، وهم أبناء عمومة، في حرب دائمة دوامها بين الفرس والروم(٥٥). ولقد ظل هذا النزاع وذلك التحالف إلى غاية الفتوحات الإسلامية. ومعلوم أنه "في أيام الفتح الإسلاميّ حارب العرب المسلمون الفرس وحلفاءهم المناذرة في القادسية(١٤هـ)، التي فتحت لهم أبواب العراق والجزيرة، وحاربوا الروم وحلفاءهم الغساسنة في معركة اليرموك(١٥هـ)، التي فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين"(٥٦).

مدت دولتا الفرس والروم نفوذهما السياسية إلى أطراف شبه الجزيرة . تحديدا إلى أطراف الحجاز. قبل الإسلام، باستغلال إمارتي المناذرة والغساسنة في الحروب، وفي خلق التوازنات السياسية الإقليمية. وعند ظهور الإسلام كانتا تتقاسمان العالم الشرقي. "الإمبراطورية الرومانية الشرقية كانت تسيطر من القسطنطينية على أوروبا

الوسطى وعلى قسم كبير من آسيا، وعلى شمال إفريقيا من مصر إلى المحيط الأطلنطيقي، وإمبراطورية الفرس تمتد سيطرتها إلى أقاصي آسيا"[٥٧].

كانت **دولة** الفرس الساسانيين ذات سلطان وقوة نظام، لعراقتهم في بناء **الدولة**، مما أعطاهم خبرة كبيرة في شؤون الإدارة والحرب، وقد ذكر ابن خلدون(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) مكانتها في العالم حينئذ، قال: "هذه **الدولة** كانت من أعظم الدول في الخليقة وأشدها قوة، وهي إحدى الدولتين اللتين صبحهما الإسلام في العالم وهما **دولة** فارس والروم"[٥٨]. وكان على رأس **الدولة** ملك يسميه العرب كسرى(ت٣٠هـ)، وهو تعريب للفظ "خُسرف" بالفارسية، ومعناه الملك أو السلطان، وكانت ديانتهم وثنية، "الزرادشتية أو المزدكية"، وهي تقوم على عبادة النار، وسماها العرب مجوسية[٥٩]، قال الشاعر:

"**مررت بعكا بعد تخريب سورها *** وزند أوار النار في وسطها واري**

وعاينتها بعد التنصر قد غدت * مجوسية الأبراج تسجد للنار**"[٦٠].

وفي المقابل، كانت **دولة** الروم على دين المسيحية التي كانت منتشرة بين قبائل العرب القاطنة ببلاد الشام. وكانوا يسمون نصارى العرب، أو عرب الروم ومنهم: أهل نجران[٦١]وبني عجل[٦٢] وإياد وتغلب، والنمر[٦٣]. وقضاعة وتنوخ، وبني كلب[٦٤]، وسليح[٦٥]، ولخم، وجذام، وغسان[٦٦]، وبكر بن وائل[٦٧]. وقد "بعث الله نبيه محمداً ﷺ لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان"[٦٨]. وقد كانت بينه وبين الروم حروب عظيمة"[٦٩]. وللإشارة، فقد كانت هناك إمارات عربية أخرى في شرق شبه الجزيرة العربية، في البحرين واليمن، وفي جنوبها الشرقي في عمان، وكلها أسلمت في عهد **الرسول الكريم**ﷺ، وأصبحت جزءًا من **الدولة** الإسلامية، وأما بقية شبه الجزيرة فكان يعيش أهلها حياة قبلية، حيث يحكم كل قبيلة شيخ هو صاحب الكلمة النافذة والأمر والنهي فيها.

ذلك ما كان عليه العرب وقبائلهم قبل الإسلام، في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة، في أواخر القرن ٦م. وقد تأثر الوضع الديني فيها بالتجاذب المسيحي المجوسي. ومن الناحية السياسية لم تكن توجد سلطة سياسية واحدة، ولا نظام للحكم كما كان الشأن في الإمبراطوريات التي سيطرت على تخوم شبه الجزيرة، وأقامت ممالكا تابعة لها. إنما كان الحكم قبلياً. ولم يكن هناك ما يوحد هذه القبائل، ويجمعها على ملك أو سلطان، فكانت الحروب والغارات بينها متواصلة. ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه كانت هناك أمة عربية موحدة في شبه الجزيرة العربية في هذه المرحلة، ولم تكن تبدو ملامح وحدة منتظرة في الأفق للمانع الموجود في طبيعة العرب كما ذكر **ابن خلدون**(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). فهم "أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة"(٧٠). وكذلك "لم تساعد شدة الحياة وقسوتها على نشوء حضارة عمرانية إلا في مناطق قليلة من شبه الجزيرِة، لا سيما في أطرافها، وكانت الكلمة هي معلم الحضارة البارز، شعراَ في الغالب، وقليلاً من الحكمة في الأقوال، نتيجة التجربة في الحياة"(٧١).

بكلمة، لم تنل شبه الجزيرة العربية من الناحية السياسية ما نالته مناطق أخرى مجاورة مثل أوربا وآسيا من التنظيمات السياسية والإدارية والمستوى العلمي. ولم يحظ سكانها بما حظيت به شعوب عديدة في التاريخ القديم في مصر واليونان. وقد كان لجغرافية شبه الجزيرة الدور الرئيسي في كل ذلك، فهي تتشكل من صحاري شاسعة، قليلة المياه والزراعة، ولم تتوفر لها وسائل الحضارة من علم وكتابة. ولم يحدث أن استفادت من دول الجوار تنظيميا وسياسيا، خصوصا دولتي الفرس والروم؛ الإمبراطوريتان الكبيرتان اللتان كانتا تحدان شبه الجزيرة شمالاَ وشرقاً. وفي المقابل، تمتعت شبه الجزيرة العربية بمكانة دينية مرموقة في العالم (يعلم بها القاصي والداني)، بسبب وجود بيت الله الحرام في مكة. **فما مظاهر تلك المكانة الدينية؟ وما سمات الحياة الدينية ببلاد العرب؟**

المبحث الرابع: الحياة الدينية

من المؤكد تاريخيا أن شبه الجزيرة العربية من أهم بقاع الأرض، التي عرفت الأديان السماوية. ومن الثابت، كذلك، أن كل الرسالات التي عرفها تاريخ البشرية نزلت على رسل، إما نشأوا في شبه جزيرة العرب أو على مقربة منها. ومهما حاولنا تعليل تشريف الله جلت قدرته هذه البقعة من المعمورة برسالات السماء واختصاصها بها، فلن نصل إلى كنه الحقيقة، لأن الله وحده هو الذي يعلم حيث يجعل رسالاته. ومع هذا، فإن شبه الجزيرة العربية كانت، بصفة عامة، تعيش قبيل ظهور الإسلام عهدا وثنيّا، **فكيف يتفق هذا مع كونها مهدا للأديان السماوية؟ ومن أين جاءتهم الوثنية إذن؟ وكيف دخلت إلى شبه جزيرة العرب؟.**

عرفت بلاد العرب التوحيد قبل **الدعوة** المحمدية بزمن طويل، فقد نزلت فيها رسالات سماوية؛ رسالة هود عليه السلام فى جنوبى شرقى الجزيرة العربية[٧٢]، ورسالة صالح عليه السلام في شماليها الغربى[٧٣]، كما عرفت التوحيد من رسالة إسماعيل عليه السلام، الذي بعث بمكة المكرمة، قال المسعودي(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): "أرسله . الله تعالى . إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن[٧٤]. ولكن، بمرور الزمن نسوا هذه الرسالات، وتحولوا إلى الوثنية وعبادة الأصنام، وأصبح لهم آلهة كثيرة مثل: هُبل واللات والعزى بفعل التغيرات التي حدثت في النفوس والمجتمعات، وبفعل التواصل الثقافي بين شبه الجزيرة العربية، والمناطق الوثنية.

ذكر الشامي(ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م) في "سبل الهدى" أن سبب اتخاذ أهل مكة للأصنام، معبودا من غير الله، وقد كانوا على دين إبراهيم الخليل، هو اتصالهم بأهل الشام وقد كانوا وثنيين[٧٥]. والسبب، حسبما يذكر، أن **عمرا بن لحي** خرج إلى أرض الشام، وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام، "فقال لهم: ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها، نستنصرها فننصر، ونستسقي بها فنسقى، فقال: ألا تعطونني منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب، عند بيت الله الذي تفد إليه العرب؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل، فقدم به مكة، فوضعه عند الكعبة، فكان أول

صنم وضع بمكة[٧٦]. **فهل هذا الزعم القائل بأن عمرا بن لحي هو أول من أدخل الأصنام إلى مكة صحيح من وجهة نظر قرآنية أم لا؟.**

القصة المشهورة التي تحكي أن عمرا بن لحي الخزاعي هو أول من أدخل الوثنية إلى بلاد العرب من الشام إلى الحجاز، وإلى بقية شبه الجزيرة، يبدو أنها ليست حقيقة تاريخية ثابتة. فمن تتبع قصص الأنبياء الذين نشأوا في شبه الجزيرة العربية في القرآن الكريم، يتضح له أن المنطقة عرفت الوثنية قبل أن تعرف الرسالات، فعندما تقول قبيلة عاد وهم من العرب البائدة لهود عليه السّلام: ﴿**يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[٧٧]. يفهم أنهم كانوا يعبدون آلهة وثنية من دون الله، ومعناه، أيضا، أن جزيرة العرب عرفت الوثنية قبل عمرو بن لحي. ولما امتنّ الله على هذه البلاد بالرسالات آمن بها من آمن، وظل على وثنيته من ضل، إلى أن كانت رسالة إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام في الحجاز، آمن من آمن وكفر من كفر، كما هو حال الناس مع **الدعوة** في كل زمان. ومع الزمن لم يبق من شريعتهما إلا صور قليلة ومراسم ظلت في عقول وقلوب قلة من الرجال، أدركوا فساد عبادة الأوثان، وانعكاساتها السلبية على الفرد وعلى المجتمع أمثال ورقة بن نوفل[٧٨].

وبطبيعة التأثير المجتمعي على الفرد فقد تحولت الأصنام والأوثان إلى البيوت والمحافل، وتعددت أشكالها فصارت كل قبيلة لها صنم، يصلون له تقرباً إلى الله فيما يزعمون. والصنم أو الوثن هو تمثال على هيئة إنسان أو جني أو ملاك، يصنعه الإنسان ليعبده ويتخذه إلهاً أو واسطة، ويتقرب إليه بالدعاء والتذلل والخضوع، فهو على الإطلاق ما صنعه الإنسان وعبدهُ لأجل التقرب إلى الله. وقد عرض ابن منظور(ت٧١١هـ/ ١٣١١م) لمواقف اللغويين في الفرق بين الصنم والوثن فقيل: إن الوثن هو ما صنع من الحجارة، والصنم ما صنع من مواد أخرى كالخشب أو الذهب أو الفضة أو غيرها من الجواهر، وقيل: إن الصنم ما كان له صورة أما الوثن فهو مالا صورة له[٧٩]. ولربما، في تقديري، قد تأول بعض العرب الجاهليين في المسألة؛ **ما الأفضل الصنم أو الوثن؟** وربما رأى الشخص منهم أن معبوده الوثن

أفضل من الصنم، أو أن الصنم حرام عبادته، أما الوثن فإنه لا حرج في التزلف به إلى الله، بحجة أنه لا يجسد ذاتا بعينها لإنسان أو سواه، أو غير ذلك من التأويلات والتبريرات النفسية، ولهذا جاء النص القرآني وذكر كلا من الأصنام والأوثان وساوى بينهما في القبح والشرك. ورد ذكر كلمة الأصنام معرفة في القرآن الكريم في سورة إبراهيم، في قوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب إنهن أضللن كثيرا من الناس**﴾[٨٠]. ووردت الكلمة نكرة في قوله عز من قائل: ﴿**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون**﴾[٨١]. فقد حكم الله ببطلان التوجه لغير الله الواحد الأحد، أما لفظ وثن فقد تكرر ذكره في كتاب الله، ومنه قوله جل اسمه: ﴿**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾[٨٢]، أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان[٨٣]. فقد حرم الله تعالى الأوثان واعتبرها رجسا، كما حرم وقبح الأصنام مطلقا، لارتباط الناس بها وجدانيا وفكريا وثقافيا، أي إشراكهم بالله بالمفهوم القرآني.

قال ابن إسحاق(ت١٥١هـ/ ٧٦٨م) :"واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله"[٨٤]. ولهذا لما بعث الله **نبيّ التوبةِ** ﷺ بالتوحيد، كعقيدة وفكرة ثقافية تعيد صياغة العقل العربي، وتعيد بناء المجتمع على أسس إسلامية جديدة، تساءل الناس، خاصة القريشيين الذين فاجأتهم **الدعوة** بهذا الانقلاب الفكري على كل الثوابت القرشية، فقالوا: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[٨٥]. **فكيف العمل بالآلهة؟ إساف ونائلة اللذين كانا على موضع زمزم، وكان سكان مكة ينحرون عندهما**"[٨٦]. **وكيف سيصير منظر الكعبة ومحيطها الذي ألفه العرب بشكل معين، وقد أحاطت بها الأوثان والأصنام؟ وماهي وضعية المستفيدين من الهدايا**

والأموال، التي تقدم إلى الأصنام، وقد استغلوا هذا التخلف المجتمعي لجمع الثروة، وتكريس الوضعية الاقتصادية والمفارقات الاجتماعية؟ فقد "كان للكعبة سدنة[٨٧] وحجاب[٨٨]، وتحيط بها هالة من التقديس، إلى غير ذلك من المظاهر الثقافية الشركية، كل هاته الأسئلة والانشغالات عمقت من رفض القياديين والمتشبعين بعقيدة التعدد (في هذا المجتمع) لدعوة التوحيد، ولهذا "يطلق على العرب نعت: **(الذين أشركوا)** سمة لهم واسما لزمهم، وإن كان غيرهم ممن تقدم شاركهم في عبادة غير الله تعالى، فإن هذا الاسم لا يطلق إلا على العرب"[٨٩]. هذا، وللإشارة، فإن الشرك ليس هو الإلحاد وليس هو الكفر، إنما – الشرك – هو اعتقاد بوجود الله تعالى وإشراك غيره معه، فعلى الرغم من انتشار عبادة الأصنام انتشارًا واسعًا في بلاد العرب، فإن هناك ما يدلُّ على أنهم لم يكونوا يعتقدون فيها اعتقادًا حقيقيّاً، فيحكي القرآن الكريم على لسانهم قولهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[٩٠]. وهذا دليل قاطع على أنهم لم يكونوا ملحدين، إنما عيبهم كان هو الاعتقاد في الوساطة بين العبد وربه. طبعا مع وجود استثناءات، إذ منهم من رفض عبادة الأصنام رفضًا قاطعًا، وهم الذين سُمُّوا بالحنفاء(الحنيفية) كما يقول الإخباريون[٩١]، كورقة بن نوفل(ت نحو ١٢ق.هـ/ ٦١١م)، وزيد بن عمرو بن نُفيل(ت١٧ق.هـ/ ٦٠٦م)، وعثمان بن الحويرث(ت٥٦٥هـ)، و عبيد الله بن جحش(ت حوالي ٦هـ)، وقس بن ساعدة الإيادى، وهؤلاء لم تقبل أذهانهم عبادة الأصنام، وكل منهم طرح على نفسه سؤال: **من أنا وما مصيري؟** هذا السؤال الذي يشغل إنسان الفطرة. فانبعثوا في طلب الحقيقة، فاعتنق بعضهم المسيحية، وترقب بعضهم الآخر ظهور **الدعوة** الخاتمة[٩٢]. وقد انتقد جواد علي(ت١٤٠٨هـ) في "المفصل" رواة الأخبار في نسبتهم من ذُكر وغيرهم إلى الحنفية أو إلى المسيحية واليهودية، وأرجع السبب إلى خلطهم في بعض الأحيان بين النصرانية وبين هؤلاء الذين أنكروا عبادة الأصنام واعتقدوا التوحيد. قال: "الحنفاء جماعة سخرت من عبادة الأصنام، وثارت عليها وعلى المثل الأخلاقية، التي كانت سائدة في ذلك الزمن، ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة، وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية، التي كانت متفشية في ذلك العهد"[٩٣]. وقال: "دعاها

إلى ذلك ما رأته في قومها من إغراق في عبادة الأصنام، ومن إسفاف في شرب الخمر، ولعب الميسر، وما شاكل ذلك من أمور مضرة"، وأضاف: "فرفعت صوتها كما يرفع المصلحون صوتهم في كل زمن ينادون بالإصلاح، وقد أثارت دعوتهم، هذه، المحافظين وأصحاب الجاه والنفوذ وسدنة الأوثان، شأن كل دعوة إصلاحية"(٩٤).

وعندي، أن الأحناف قوم زايلوا المجتمع القريشي، ليس احتجاجا على الفساد الاجتماعي فحسب، بل على الفساد العقائدي أولا. والدليل هو أنهم خرجوا يلتمسون دين إبراهيم عليه السلام قبل مبعث **نبي المرحمة** ﷺ، قال صاحب "المنمق": "وقال بعض هؤلاء لبعض: أتعلمون والله ما قومكم على شيء؟ لقد أخطأوا دين إبراهيم عليه السلام، ما حجر نطيف به لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع"(٩٥)، فالواضح، أن احتجاج هاته الجماعة على قريش كان بالأساس بسبب بعدهم عن دين إبراهيم الخليل، الذي هو الحنيفية، مما يدل دلالة واضحة على هيمنة البعد الديني على فكر من تسموا لدى الإخباريين بالحنفاء(٩٦)، أو طلاب الحنيفية(٩٧)، وهي دين إبراهيم(٩٨)، أما لفظ **الأحناف** فإن الوحيد الذي استعمله هو جواد علي(ت١٤٠٨هـ)، استعمله كثيرا في "المفصل في تاريخ العرب" مرادفا لمفهوم الحنفاء(٩٩)، في حين أن غيره من أهل اللغة والرواية والأخبار والفقه يطلقون الأحناف على أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان(ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، والمنسوبين إليه(١٠٠). ومعنا دليل آخر يؤكد أن الجماعة كانت تبحث عن الحنيفية والدين الإبراهيمي الصحيح، أورد ابن كثير(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) في "البداية والنهاية" قولا منسوبا إلى ورقة بن نوفل(ت نحو ١٢ ق.هـ/ ٦١١م) حدث به جماعة الرافضين للوثنية قال لهم: "يَا قَوْمِ الْتَمِسُوا لأنفسكم الدين، فَخَرَجُوا عِنْدَ ذَلِكَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْأَلُونَ عَنِ الْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"(١٠١)، ولا يعني (قولي هذا) أن هؤلاء الموحدين الباحثين عن الحنيفية بعد هذا الموقف الواضح من الأوثان والأصنام، كانوا على رأي واحد ودين واحد كالذي يفهم مثلًا من قولنا مسلمين أي على شريعة الإسلام، بمعنى أنهم كانوا جماعة منظمة تسير على منهاج شريعة إبراهيم ولها عبادة محددة، إنما كان أولئك الأحناف نفرًا من

قبائل مختلفة، اتفقت رؤيتهم حول رفض عبادة الأصنام. وليس كما يقول جواد علي(ت١٤٠٨هـ) أن فكرتهم اتفقت في **الدعوة** إلى إصلاحات واسعة في الحياة وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية، التي كانت متفشية في ذلك العهد، وأنهم رفعوا أصواتهم بذلك، وأن دعوتهم قد أثارت المحافظين وأصحاب الجاه والنفوذ وسدنة الأوثان شأن كل دعوة إصلاحية[١٠٢]. فإنه لم يثبت أنهم دعوا الناس إلى ما اقتنعوا به لسبب من الأسباب كخوف أو غيره ، كما لم تحدث أية مواجهة بينهم وبين من سماهم المحافظين، إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل(ت١٧ق.هـ/ ٦٠٦م) فإنه قد أعلن دعوة التوحيد وناهض الفساد، لكن قام بذلك بمفرده[١٠٣]، وقد أوذي إيذاء شديدا. "كان الخطاب – عمه – قد آذاه أذى كثيرا حتى خرج به إلى أعلى مكة ووكل به شبابا من قريش وسفهاء من سفهائهم، لم يكونوا يتركوه يدخل، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم، فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه[١٠٤]، وهو الذي بشر **النبي البشير** ﷺ بفوزه برؤية وجه الله تعالى، قال عنه: "يبعث أمّة وحده"[١٠٥]، وهو القائل في الجاهلية:

أسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخراً ثقالا**

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذباً زلالا**

إذا هي سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا**

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الريح تصرف حالا فحالا"**[١٠٦].

وإذا كانت الوثنية قد سادت بلاد العرب، فإن اليهودية والمسيحية عرفت، أيضا، طريقها إليها، فتركزت المسيحية في نجران التي كانت وقتئذٍ من أرض اليمن[١٠٧]، وأكبر القبائل النصرانية كانت "غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم"[١٠٨]. فأما قبيلة غسان وهم "أولاد عم الأنصار أوسها وخزرجها"[١٠٩]، فكانوا عمالاً للقياصرة على عرب الشام، فتأثروا بهم وتنصروا. وقد كان أن "غلبت غسان على من بالشام من العرب، فملكها الرومُ على العرب، فكان أول[١١٠] ملك من

ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس"[١١١]. "وكان جبلة . بن الأيهم . آخر ملوك غسان"[١١٢]. وإلى جبلة بن الأيهم ،هذا، "كتب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية، ثم لم يزل مسلماً حتى كان في زمن عمر بن الخطاب(ت٢٤هـ) فتنصر في جماعة من أصحابه ولحق بالروم"[١١٣]. وكذلك "بنو ثعلب بن وائل– وهم– من أعظم بطون ربيعة بن نزار، ولهم محل في الكثرة والعدد، وكانت مواطنهم بالجزيرة في ديار ربيعة، وكانوا على دين النصرانية في الجاهلية"[١١٤]. وقد "حاربوا المسلمين مع غسان وهرقل أيام الفتوحات، وسائر نصارى العرب"[١١٥].

أما اليهودية فقد استقرت شمال الحجاز، فى يثرب وخيبر وفدك ووادى القرى وتيماء[١١٦]. حسب محمد مهران(ت٢٠٠٨م). وذكر الشهرستاني(ت٥٤٨هـ) سبب توافد اليهود على يثرب، حيث بنى أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة؛ لنصرة **رسول الله** ﷺ نبي آخر الزمان؛ فأمروهم بمهاجرة أوطانهم بالشام إلى تلك القلاع والبقاع؛ حتى إذا ظهر، وأعلن الحق بفاران – مكة–، وهاجر إلى دار هجرته يثرب/ العاصمة طيبة هجروه، وتركوا نصره؛ وذلك قوله تعالى: ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[١١٧]"[١١٨]. والظاهر أن الطائفة اليهودية بشبه الجزيرة قد أثرت في باقي العناصر في نواحي متعددة، وللمؤرخين رأي في مظاهر التأثير، يرى توفيق برو أنهم تركوا في المنطقة "تأثيرًا مهمًّا من حيث الزراعة والصناعة والتجارة، إذ أدخلوا إليها أنواعا جديدة من الأشجار، وطرقا جديدة في الزراعة: حفروا الآبار وعملوا في تربية المواشي والدواجن، وعملت نساؤهم في نسج الأقمشة"[١١٩]. ويضيف جواد علي(ت١٤٠٨هـ) بالإضافة إلى أدوار اليهود التجارية والفلاحية بأنهم كانوا "يقرضون الأموال بالربا الفاحش للأعراب، ويحترفون بعض الحرف مثل الصياغة، وهي حرفة اشتهروا بها منذ القديم، ويعقدون الأسواق ليقصدها الأعراب للامتياز"[١٢٠]. غير أن التجارة كانت غالبة على أنشطتهم الاقتصادية، ولدينا أدلة تند عن الحصر تفيد اشتهار اليهود بالتجارة، ولقد أحرز بعضهم مثل أبي رافع بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ(ت٤هـ)،

اليهودي الذي قتله المسلمون في خيبر(٧هـ)، شهرة واسعة، وأصاب أموالا طائلة، فكان يكنى بتَاجِر أَهْلِ الْحِجَازِ[١٢١]، إذ كان يرسل بضاعته بواسطة القوافل إلى الشام، ويستورد الأقمشة المختلفة منها. وقد احتكر اليهود تجارة البلح والشعير والقمح (خاصة)، وبلغ ثراؤهم من التجارة مبلغا جعل العرب يلجأون إليهم لاستدانة المال لقاء رهن أمتعتهم لديهم، وكان الربا شائعا بينهم. ومما اشتهروا به صناعتهم المعدنية، كالصياغة والحدادة وصنع الأسلحة والدروع والخوذ[١٢٢]. وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) أن ابْن أَبِي الْحُقَيْق وظف تلك الأموال في حرب رسول الله محاولا إحباط **الدعوة**[١٢٣].

ومن العجيب، أن اليهودية والنصرانية لم تنتشرا على نطاق واسع في بلاد العرب، ولعل ذلك يكون راجعا إلى أن اليهودية تُعدُّ ديانة مغلقة على نفسها لعصبية أهلها، فأهلها كانوا يعتبرونها ديانة خاصة بهم، فلم يدعوا أحدًا إليها، إلا نادرا، ولم يرحِّبوا باعتناق غيرهم لها[١٢٤]، أما المسيحية، فعلى الرغم من أنها ديانة تبشيرية، وأهلها يرغبون في نشرها في العالم، فإنه يبدو أنها حين وصلت إلى بلاد العرب كانت قد بلغت درجة من التعقيدات والخلافات المذهبية، لم تستسغها عقول العرب، أو لعدم قابلية اليثاربة لأي دعوة دينية لانشغالهم بالحروب. فقد أسفر العداء الطويل بين الأوس والخزرج عن حرب طاحنة يوم بُعاث. قيل: "مكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب، والتقوا ببُعاث، وهي من أعمال قريظة، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعا"[١٢٥]. وإلى جوار الأوس والخزرج بيثرب كانت "قبائل من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم، منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع"[١٢٦]، وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم، وقد بنوا لهم حصوناً يجتمعون بها إذا خافوا"[١٢٧]. وقد انخرطوا في الحياة الاجتماعية العربية بكل تفاصيلها، وكانوا طرفا في الحرب، وقد ثبت تاريخيا أنهم شاركوا في حرب بعاث. يذكر ابن الأثير(ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) في معرض حديثه عن تلك الحرب: "أن قريظة والنضير جددوا العهود مع الأوس على الموازرة والتناصر، واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود"[١٢٨].

وأخيرا، فبالإضافة إلى عبادة الأصنام والأوثان واليهودية والمسيحية فقد "كانت المجوسية في تميم، . ومنهم زرارة بن عدس وابنه حاجب والأقرع بن حابس"[١٢٩] . في الْبَحْرَيْنِ[١٣٠]، وكانت "الزندقة[١٣١] والتعطيل[١٣٢] في قريش"[١٣٣]. **وربما وجدت اعتقادات أخرى!؟ ولا شك أن للأوضاع الدينية بشبه جزيرة العرب انعكاسات على الثقافة والمجتمع، فما مظاهرها الإيجابية والسلبية؟.**

المبحث الخامس: الحياة الثقافية

يصور العديد من الكتاب والباحثين الحقبة التي سبقت **الدعوة** على أنها مظلمة، لا بصيص نور فيها، إذ سادتها الصراعات والحروب والانقسامات الداخلية، يفعلون كما فعلت الإسطوغرافيا الأوربية التي اعتادت أن تسم العصور الوسطى في أوربا بالظلامية، لتعلي من شأن الحقبة الحديثة وعصر النهضة. وظلت هذه الصورة قاتمة عن تاريخ العرب قبل **الدعوة**، وألصقت بهم سمة الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم. إن هذا الزعم يستدعي مقاربة الموضوع تاريخيا لتسليط الضوء على جانب يعكس المستوى الثقافي الذي كان عليه العربي، من أجل ذلك نجيب عن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: **هل من المعقول أن تنزل الدعوة الخاتمة التي يرجى حملها إلى كل سكان الأرض، في أناس لا يحملون أي قيم إيجابية، وليس معهم بذور الحضارة؟ وهل انعدمت في العرب بوادر النهضة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية (فعلا)، خلال المرحلة التي سبقت الدعوة؟.**

على الرغم من أن تاريخ العرب في هذه الحقبة اكتنفه كثير من الغموض، وهذا يعود لأسباب منها بالأساس؛ عدم تدوينهم لتاريخهم، بسبب عدم انتشار ثقافة التأريخ، وبسبب عدم انتشار الكتابة، وربما كذلك بسبب عدم تدوين المؤرخين الأجانب بالمنطقة كاليونان والرومان والفرس لتاريخ عرب شبه الجزيرة، لأن جزيرة العرب، خاصة منطقة مكة المكرمة، ظلت أرضا بكرا، إذ لم تستطع الدول الأجنبية أن تدخلها بالقوة. فقد كانت الصحراء درعاً واقياً لهم. نعم قد توفرت لدى الأجانب في إيران وبلاد الروم و**دولة** اليمن بعض المعطيات الاستخباراتية حول الخيرات المتوفرة بشبه الجزيرة وأوضاعها السياسية، فربما وفرها التجار أو الجواسيس، وفي غالب الأحيان

عرب الغساسنة والمناذرة لولائهم لدولتي الفرس والروم[١٣٤]. إلا أن اعتزاز العرب بتراثهم الثقافي وبأنسابهم جعلهم يتناقلون تاريخهم في هذه الحقبة مشافهة، جيلا عن جيل. ولعل الشعر العربي كان من أكثر الأدلة على ماذكرناه، فكان العرب إما شعراء أو حفاظا للشعر، وبقوا على تلك الحال حتى بلغوا به عصر التدوين في القرن ٢هـ[١٣٥]، وقد قدم الشعر للمؤرخين في الحقب اللاحقة معلومات مهمة عن الحياة العربية في جميع جوانبها.

من الشائع عن العرب قبل **الدعوة** أنهم كانوا أمة أمية في غالبهم الأعم، لا يعرفون الكتابة والقراءة إلا ما كان من بعض الوجوه المعروفة من الشعراء والخطباء والمجربين. في مكة، مثلا، لم يكن المتعلمون سوى أقلية قليلة منهم ورقة بن نوفل(ت نحو١٢ق.هـ/٦١١م)، الذي كان يقرأ الكتب[١٣٦]، وقد عقد ناصر الدين الأسد فصلا عن تعلم الكتابة في الجاهلية وشيوعها فند فيه محدودية تعلم الكتابة ودافع عن فكرة شيوعها في صفوف العرب الجاهليين، ولقد ذكر أسماء عديدة نسب إليها المعرفة الدقيقة بفن الكتابة، وزعم أنهم كانوا معلمين للغة، منهم عمرو بن زرارة، وغيلان بن سلمة بن معتب، ويوسف بن الحكم الثقفي، وبشر بن عبد الملك السكوني، وجفينة، وعدي بن زيد العبادي. كما زعم أن مكة والمدينة والطائف والحيرة والأنبار وغيرها من الحواضر في الجاهلية كانت بها مدارس، يتعلم فيها الصبيان الكتابة العربية[١٣٧]. وأيا ما كانت الحقيقة، فإن جهل عامة العرب في عصر الجاهلية بالكتابة والقراءة لم يمنعهم من اكتساب قدر من الوعي والثقافة، وقدر مهم من المعرفة الكونية، لاتصالهم بالعالم الخارجى من خلال المعاملات التجارية، فقد تعرفوا على الديانة المجوسية والثقافة الفارسية عن طريق إمارة الحيرة العربية، الموالية للفرس والتابعة سياسيا لهم[١٣٨]، وتعرفوا على النصرانية والثقافة اليونانية والرومانية عن طريق الإمارات العربية في الشام، خاصة غسان[١٣٩]. واكتسبوا المعارف العلمية بالتجربة، كالمعرفة الجغرافية والمعلومات الفلكية. ساعدهم ذلك على معرفة التضاريس أرضا أرضا وسهلا سهلا ومرتفعا مرتفعا (وزنقة زنقة). وتنقلاتهم بين المناطق المختلفة عبر وسائل المواصلات التقليدية المعروفة حينذاك؛ الجمال والخيول والبغال والحمير

والأقدام، جعلت معرفتهم بالمسالك والممالك دقيقة وعميقة، ودفعتهم حاجتهم إلى معرفة خصائص المواسم الفلاحية، والفصول الأربعة إلى معرفة المناخ وأحوال الطقس، ومنازل الكواكب ومواسم الأمطار. يدل على ذلك قول الحارث بْن عبد الله(ت٥٠هـ/ نحو ٦٧٠م) قولا يثبت ما ذكر:

أبيت أرعى النجوم مرتفقا[١٤٠]* إذا استقلت[١٤١] تجري أوائلها**

من بخراسان والعراق ومن * بالشام كل شجاه[١٤٢] شاغلها**

فالناس منها في لون مظلمة * دهماء ملتجة[١٤٣] غياطلها[١٤٤].**

ودفعهم اعتزازهم بقبائلهم وأنسابهم إلى التخصص في علم الأنساب[١٤٥]. ممن اشتهر في هذا العلم أبو بكر الصديق(ت١هـ). قال العجلي(ت٢٦١هـ) كَانَ أعلم قُرَيْش بأنسابها[١٤٦]، وشهاب بن مذعور بن حلّزة، وكان من علماء الأنساب[١٤٧]، كذلك. وفي هذا يقول الشاعر العربي:

وَلَقَد سبرت النَّاس ثمَّ عرفتهم *** وَعلمت مَا عرفُوا من الْأَنْسَاب[١٤٨].

فتوارثوا هذا العلم ولدا عن والد شفهيا، وقد تفوقوا فيه عن كل الأمم غير العربية. وقد بلغ من شدة ولعهم بالخيل أن اعتنوا بأصنافه وبأنسابه[١٤٩]. وتفوق العرب في علوم العربية بلاغة وفصاحة، يكاد لا يستثنى أحد منهم في امتلاك ناصية اللغة، فالعربي فصيح بليغ "بالفطرة"، ودليل ذلك فهم العامة للقرآن الكريم الذي نزل بلغتهم، وهو قمة البلاغة والفصاحة، وفهمهم للشعر وإبداعهم فيه إبداعا واضحا وهو ديوان العرب، وسجل تاريخهم وثقافتهم وعوائدهم. وإبداعهم في الخطابة والنثر والأمثال[١٥٠]. وقد اشتهر عن العرب مجموعة من الخلال الاجتماعية كالكرم والجود والشجاعة وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم والجوار، والعديد العديد من الخلال والأخلاق التي جاء الإسلام وزكاها وهذبها، وهي جزء عظيم من الثقافة العربية الإسلامية. قال الرسول الكريم ﷺ: **[إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]**[١٥١]. معنى

الحديث أن ماجاء به **النبي المقفي** ﷺ من قيم ليس منقطعاً عن القيم التي كانت أساس الحياة الاجتماعية الإيجابية قبل **الدعوة**. وهذا دليل على أن القيم الأخلاقية الإيجابية لم يخل منها المجتمع العربي.

إن هذه الحقبة (ق٦/ ق٧م) على الرغم مما سادها من اختلالات مجتمعية، فقد سادت فيها قيم تعارف عليها المجتمع العربي، وقد زكّت **الدعوة** المليح منها وأقرته، ونبذت السيئ وحرمته. بدون شك، لقد كانت **الدعوة** نقطة تحول حاسمة في الحياة القبلية بشبه الجزيرة، وفي الوقت نفسه، فليس كل ما قدمته **الدعوة** غريب عن طبع العرب جديد على مسيرتهم وثقافتهم، فقد كانوا أصحاب دعوة موروثة عن النبي إسماعيل عليه السلام إلا أنهم حرفوها. ولقد بقيت تلك **الدعوة** صدى طموح الموحدين من العرب، أمثال ورقة بن نوفل(ت . حوالي . ١٢ق.هـ/ ٦١١م)، وأبي ذر الغفاري(ت٣٢هـ/ ٦٥٢م)، وغيرهم ممن لم تنطمس معالم التوحيد في نفوسهم، وظلت التراث المعبر عن هويتهم الحضارية التي لم تجد وسيلة شاخصة للتعبير عنها خلال الحقب التي سبقت بزوغ **الدعوة**، إلا من خلال اعتزال منافذ البيئة الثقافية والاعتقادية ومافرضته تلك البيئة من عقيدة وثنية ونظام اجتماعي قبلي عصبي.

أما عن باقي المظاهر الثقافية العربية فسوق عكاظ[١٥٢] يشهد على المهرجانات الأدبية والمسابقات الثقافية بين المبدعين العرب. كانوا يقيمون لقاءات أدبية يتنافس فيها فطاحل الشعر والخطابة، تُلقى القصائد الطوال العجيبة، ويتم اختيار أجملها وتعطى هبات وجوائز مالية لصاحبها ويشتهر ذكره، ويقوم الناس بحفظها وتتناقلها الألسنة، ويكثر حولها الكلام والنقد، ويتمنى الشاعر أن تعلق قصيدته في جوف الكعبة كمعلقة امرئ القيس(ت٨٠ق.هـ/ ٥٤٥م)، ومعلقة زهير بن أبي سلمى(ت١٣ق.هـ/ ٦٠٩م)، ومعلقة النابغة الذبياني (ت نحو ١٨ق.هـ/ نحو ٦٠٤م)، ومعلقة أعشى بكر بن وائل/ أعشى قيس(ت٧هـ/ ٦٢٩م)، ومعلقة لبيد بن ربيعة/ لَبِيد العَامِرِي(ت٤١هـ/ ٦٦١م)، ومعلقة عمرو بن كلثوم(ت٤٠ق.هـ/ نحو ٥٨٤م)، ومعلقة طرفة بن العبد (ت٦٠ق.هـ/ ٥٦٤م)، ومعلقة عنترة بن شداد/ عَنْتَرَة العَبْسي(ت نحو ٢٢ق.هـ/ نحو ٦٠٠م)[١٥٣].

ساهم مهرجان عكاظ السنوي في إشهار عدد من الشعراء والخطباء، والقصائد الشعرية الكبيرة في تاريخ الأدب العربي، فهناك كانوا يتعاكظون[١٥٤]، ويتفاخرون، ويتحاججون، وتنشد الشعراء جديدها، وفي ذلك يقول ابن خلدون(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)[١٥٥] : "اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم، وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده،، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز أجوده". وأضاف: "حتى انتهوا إلى المناغاة[١٥٦] في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم وبيت إبراهيم . الخليل . كما فعل امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع، فإنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته"[١٥٧]. ولقد عُلّقت القصائد السبع الشهيرة بجوف الكعبة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل. وممن برز فيه وعلا فيه شأنه النابغة الذبياني(ت حوالي ١٨ق.هـ/ ٦٠٤م)، الذي كان حكما للشعراء في سوق عكاظ، وفي ذلك قال الأصمعي(ت٢١٦هـ/ ٨٣١م): "كان يضرب للنابغة بسوق عكاظ قبة، فيجتمع إليه الشعراء فيها"[١٥٨]. ويذكر أن "حسان والأعشى وخنساء بنت عمرو بن الشريد، خرجوا إليه . ذات مرة . فأنشدوه أشعارهم، فلما أنشدته خنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار.**

قال: يا خنيس، والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت: "إني لم أسمع مثل شعرك" وما بها ذات مثانة أشعر منك.

قالت: لا والله، ولا ذو خصيين، فغضب حسان.

فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك.

فقال له النابغة: يا ابن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى عنك واسع"[١٥٩].**

ومن نقده الأدبي لحسان بن ثابت(ت٥٤هـ/ ٦٧٤م) حين بلغ من قصيدته:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما**

ولدنَا بني العنقاء وَابْني محرقٍ *** فَأَكْرم بِنَا خالاً وَأَكْرم بِنَا ابنما. قال له: قللت جفانك ولو قلت: الجفان لكانت أكثر، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وقلت: يلمعن بالضحى، ولو قلت: يبرقن بالدجى لكان أبلغ؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، وأنثت السيوف[١٦٠].

اجتمعت كلمة النقاد على أن النابغة(ت٨٣هـ/ ٧٠٢م) أحد شعراء الطبقة الأولى، إن لم يكن رأس هذه الطبقة بعد امرئ القيس(ت٨٠ق.هـ/ ٥٤٥م)، وليس أدلّ على علو منزلته من ترأسه سوق عكاظ واعتلائه لعرش النقد الأدبي، "فالنابغة في سوق عكاظ ناقد"[١٦١] كما يقول الناقد إحسان عباس(ت٢٠٠٣م)، وكذلك يعتبره الأديب أحمد شوقي(ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، قال في معرض تعليقه حول نقد حسان بن ثابت(ت٥٤هـ/ ٦٧٤م): "والمهم في الخبر أنه كان يحكم بين الشعراء، فمن أشاد به تألق نجمه، ومن أزرى به خمل ذكره"[١٦٢].

هكذا، شهد المؤرخون والنقاد الأدباء ومنهم ابن خلدون(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، وأحمد شوقي(ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، وشهد التاريخ بالمكانة الأدبية للنابغة الدبياني(ت. حوالي ١٨ق.هـ/ ٦٠٤م)، الذي كانت تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، فيأتيه الشعراء فيعرضون عليه أشعارهم، كما ذُكر. وللإشارة، فقد كان يحضر هذه اللقاءات كذلك العوام من الناس ونصيبهم الاستمتاع بالمجالس الأدبية، التي كانت مفتوحة أمام الجميع، لأن عكاظ في الأصل سوق تجارية موسمية ومجمع للبيع والشراء فمعلوم أن الحياة الاقتصادية بمكة كانت قائمة على النشاط التجاري.

الخاتمة:

في ختام هذه الوقفة مع "الأوضاع السياسية والدينية والثقافية بشبه الجزيرة قبيل عصر النبوة" نسجل أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

– **سياسيا:** لم يكن بالحجاز دولة، ولا حكومة، ولا سلطة سياسية بالمعنى الحديث، بل كانت السلطة قبلية، وهي سلطة شيخ القبيلة على أفرادها بحكم الأعراف والتقاليد والمصالح والعصبية. على خلاف بعض بلاد العرب كاليمن التي عرفت حياة سياسية منظمة قبل الإسلام بزم، بحكم طبيعتها وحضارتها العريقة ونشاطها الزراعي والعمراني، وأشهرها دولة معين، ودولة حمير، ودولة سبأ. وقد أرجع ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) السبب إلى أحوال العرب النفسية والاجتماعية والثقافية، التي تمنعهم من الخضوع لهيمنة جماعة بيدها سلطة الحل والعقد. فهم لا ينقادون لملك أبدا. وعليه، فإنه لما بُعث النبي الحقﷺ، لم تواجه دعوته دولة. إنما كانت المعارضة والمقاومة من جانب قبائل وبطون تجمعها العصبية الجاهلية، وتربطها روابط اجتماعية قائمة على العادات والعرف والتقاليد، وتجمعها من الناحية الدينية عبادة الأوثان. ومع مرور الزمن، صار جانب من تعديها ومواجهتها ينهار أمام هيبة النبوة.

– **دينيا:** خلصنا في مبحث الأوضاع الدينية أن شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام كانت تعيش عهدا وثنيّا. فقد دخلت الأوثان والأصنام إلى كل بيت، وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله. رغم أن جزيرة العرب من أهم بقاع الأرض، التي عرفت الأديان السماوية. إذ أن كل الرسالات التي عرفها تاريخ البشرية نزلت على رسل، إما نشأوا في شبه جزيرة العرب أو على مقربة منها. وخلصنا كذلك أن جزيرة العرب عرفت الوثنية قبل عمرو بن لحي على خلاف المشهور. ولهذا لما بعث الله نبيّ التوبةِ ﷺ بالتوحيد، كعقيدة وفكرة ثقافية واجتماعية تعيد صياغة العقل العربي، وتعيد بناء المجتمع على أسس إسلامية جديدة، تساءل الناس، خاصة القرشيين الذين فاجأتهم الدعوة بهذا الانقلاب الفكري على كل الثوابت

القرشية، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(سورة ص: الآية ٥) باستثناء الأحناف الذين خرجوا يلتمسون دين إبراهيم عليه السلام قبل مبعث نبي المرحمة ﷺ، وزايلوا المجتمع القريشي، ليس احتجاجا على الفساد الاجتماعي فحسب، بل على الفساد العقائدي كذلك.

– **ثقافيا:** فندت الدراسة شائعة تاريخية تصور الحقبة التي سبقت الدعوة على أنها مظلمة، لا بصيص نور فيها، حقبة سادتها الصراعات والحروب والانقسامات الداخلية، فعل أصحابها كما فعلت الإسطوغرافيا الأوربية التي اعتادت أن تسم العصور الوسطى في أوربا بالظلامية، لتعلي من شأن الحقبة الحديثة وعصر النهضة. وظلت هذه الصورة قاتمة عن تاريخ العرب قبل الدعوة، وألصقت بهم سمة الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم. وهو الأمر الذي لا يثبت من وجهة نظر تاريخية علمية. فإن جهل عامة العرب في العصر الجاهلي بالكتابة والقراءة لم يمنعهم من اكتساب قدر من الوعي والثقافة، وقدر مهم من المعرفة الكونية، لاتصالهم بالعالم الخارجى من خلال المعاملات التجارية، فقد تعرفوا على الديانة المجوسية والثقافة الفارسية عن طريق إمارة الحيرة العربية، الموالية للفرس والتابعة سياسيا لهم، وتعرفوا على النصرانية والثقافة اليونانية والرومانية عن طريق الإمارات العربية في الشام، خاصة غسان. واكتسبوا المعارف العلمية بالتجربة، كالمعرفة الجغرافية والمعلومات الفلكية. ساعدهم ذلك على معرفة التضاريس شبرا شبرا. وتنقلاتهم بين المناطق المختلفة عبر وسائل المواصلات التقليدية المعروفة حينذاك؛ الجمال والخيول والبغال والحمير والأقدام، جعلت معرفتهم بالمسالك والممالك دقيقة وعميقة، ودفعتهم حاجتهم إلى معرفة خصائص المواسم الفلاحية، والفصول الأربعة إلى معرفة المناخ وأحوال الطقس، ومنازل الكواكب ومواسم الأمطار. فضلا عن إبداعهم منقطع النظير في الشعر والخطابة والأنساب.

بكلمة، تلك كانت أبرز نتائج الدراسة، وهي محاولة لبناء تصور علمي واضح عن الإسلام دعوة ودولة، فهم السياق التاريخي لنشوء الدعوة وظروف بناء الدولة. فالله تعالى نسأل الحكمة والعلم النافع. ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين.

"رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" البقرة: ٢٠١

الهوامش

(١)انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. ٣٣ جزء، ط.١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ـ مصر ١٤٢٣هـ، ١٦: ١٧٤.

(٢)الفَتْرَةُ: ما بين الرسولين من رسل الله عز وجل./ أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مصدر سابق، ٢: ٧٧٧.

(٣) بطليموس: هو بطليموس القلوذي أحد علماء اليونان ومصنف كتاب "المجسطي" وغيره من الكتب. وهو إمام في الفلك والرياضة./ ابن المستوفي الإربلي، تاريخ إربل. تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م، ٢: ٥١٨.

(٤)ابن الحائك الهمداني، صفة جزيرة العرب. مطبعة بريل، ليدن ـ هلندا ١٨٨٤م، ص. ١.

(٥)انظر: تركي كامل، شبه جزيرة العرب والشام قبل ظهور النبيﷺ وبعده. جزآن، ط.١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ـ الأردن ١٩٧٨م، ١: ٢٠.

(٦)محمد علي اللاهوري، حياة محمد (ﷺ) ورسالته. ترجمه إلى العربية: منير بعلبكى، ط.٢، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ١٣٩٠هـ، ص. ١٣.

(٧)انظر: مصطفى المشرافي، دينامية السكان في اليمن. ط.٢، دار التراث للطباعة والنشر، صنعاء ـ اليمن ١٩٩٩م، ص. ١٥١.

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب. مصدر سابق، ص. ٥١.

(٩) نفسه، ص. ١٥٩. (بتصرف).

(١٠)عبد الكريم النجدي، جغرافية مكة والمدينة. ط.١، دار نجد للنشر، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٣م، ص. ١٤.

(١١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(١٢)انظر: المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. تحقيق: عبد الله الصاوي، ط. ٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م، ص. ١٠٣ وما بعدها.

(١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان. ٧أجزاء، ط.٢، دار صادر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٥م، ٤: ٢٣١.

(١٤)الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن. مصدر سابق، ١٧: ٢١. (بتصرف).

(١٥)أرسل الله تعالى نبيه إسماعيل إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأوثان، فآمنت به طائفة منهم وكفر أكثرهم، وغلب على الحرم وتزوج في خيرهم./ انظر: المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. مصدر سابق، ص. ١٠٣. (بتصرف).

(١٦)انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان. مصدر سابق، ٤: ٩٦. (بتصرف).

(١٧)انظر: الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، ط. ٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ـ لبنان ١٩٨٠م، ص. ٤٩٧.

(١٨)عبد الكريم النجدي، جغرافية مكة والمدينة. مرجع سابق، ص. ١٤. (بتصرف).

(١٩) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢٠) جرهم: "بطن من القطحانية، كانت منازلهم أولا باليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز، فنزلوه، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها"./ عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ٥ أجزاء، ط. ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ١٩٩٤م، ١: ١٨٣.

(٢١)المكان نفسه.

(٢٢)انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى. ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ط.١، دار صادر، بيروت ـ لبنان ١٩٦٨م، ١: ٦٦.

(٢٣)خير الدين الزركلي، الأعلام. ط. ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٥: ١٩٨.

(٢٤) ابن كثير، البداية والنهاية. ١٢ جزء، تحقيق: علي شيري، ط.١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٨٨م، ٢: ٢٥٤.

(٢٥)المكان نفسه.

(٢٦) نفسه، ٢: ٢٥٥. (بتصرف).

(٢٧)عبد الكريم النجدي، جغرافية مكة والمدينة. مرجع سابق، ص. ٥٤. (بتصرف).

(٢٨)ابن سعد، الطبقات الكبرى. مصدر سابق، ١: ٥٨. (بتصرف).

(٢٩)أبو البقاء الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. جزآن، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكة، ط.١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ـ الأردن ١٩٨٤م، ص. ١: ٤١٨.

(٣٠)توفيق برو، تاريخ العرب القديم. ط.٢، دار الفكر، ٢٠٠١م، ص. ١٧٩. (بتصرف).

(٣١)المكان نفسه. (بتصرف).

(٣٢)العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. ٤ أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٨م، ١: ٢٢٣.

(٣٣)يذكر الإخباريون أن البئر بقيت مغمورة إلى عهد عبد المطلب جد النبيﷺ، الذي ألهمه الله تعالى، بالرؤيا الصالحة، إلى مكانها فحفرها./ انظر: المقدسي، البدء والتاريخ. ٦أجزاء، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ـ مصر (بدون تاريخ)، ٤: ٨٣.

(٣٤) سَدَنَ سَدْناً وسَدَانَةً: خَدَمَ الكَعْبَةَ، أَو بيتَ الصَّنَمِ، والاسمُ السِّدَانَةُ، بالكسْرِ./ انظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. مصدر سابق، ٣٥: ١٨٠./ ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: سدن، ١٣: ٢٠٧./ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مصدر سابق، ٥: ٢١٣٥.

(٣٥) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب. تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن (بدون تاريخ)، ص. ٣٢٣. (بتصرف).

(٣٦)انظر: الرافعي، التدوين في أخبار قزوين. ٤أجزاء، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ٢: ٤٤٦.

(٣٧) كانت هناك إمارات عربية في شرق شبه الجزيرة العربية، في البحرين واليمن، وفي جنوبها الشرقي في عمان، وكلها أسلمت في عهد الرسول ﷺ، وأصبحت جزءً من الدولة الإسلامية.

(٣٨)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ١: ١٨٩.

(٣٩)المكان نفسه.

(٤٠)المكان نفسه.

(٤١)انظر: ابن حبيب، المحبر. تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)، ص. ٣٥٦.

(٤٢)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٢: ١١٤.

(٤٣)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. ٨أجزاء، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ٥: ١٤٠ وما بعدها.

(٤٤)ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ٤ أجزاء، ط.١، تحقيق: علي محمد

البجاوي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م، ٤: ١٨٦٣.

(٤٥) يذكر أن روما كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وأنها مدت سلطانها على مساحات شاسعة، شملت سائر البلاد المطلة على البحر الأبيض من جميع جوانبه، وكان الشمال الإفريقي ابتداء من مصر حتى المحيط الأطلسي تحت السيطرة الرومانية، وكانت مصر تمد الإمبراطورية الرومانية بالحبوب والغذاء./ أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي. ط.١، مؤسسة الرسالة، لبنان ٢٠٠٣م، ص. ٥٦. (بتصرف).

(٤٦)عبد العزيز بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مكتبة الأنجلو المصرية، (بدون تاريخ)، ص. ٤٠ .٦٣ .٨١ .٨٧.

(٤٧)انظر: جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مرجع سابق، ٣: ١٣٥.

(٤٨)انظر: حسين بن علي الويسي، اليمن الكبرى. ط.٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء ـ اليمن ١٩٩١م، ص.٢٢ وما بعدها، وص.٤١ وما بعدها.

(٤٩)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ٢: ٣٢٥.

(٥٠)انظر: توفيق برو، تاريخ العرب القديم. مرجع سابق، ص. ١٢٣.

(٥١)عبد العزيز بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مرجع سابق، ص. ١٦٤. (بتصرف).

(٥٢)عبد العزيز بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مرجع سابق، ص. ١٥٢. (بتصرف).

(٥٣)انظر: محمد بيومى مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم. دار المعرفة الجامعية، (بدون تاريخ)، ص. ٥٠٣.

(٥٤) جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. ٢٠ جزء، ط. ٤، دار الساقي، ٢٠٠١م، ١: ٢١٧. (بتصرف).

(٥٥)انظر: لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة. ط.٢، دار المعرفة الجامعية، (بدون تاريخ)، ص. ٢٩٤. /عبد العزيز بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مرجع سابق، ص. ١٥٥.

(٥٦) جمال محفوظ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام. ط.١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الخرطوم ـ السودان ١٩٨٧م، ص. ١١٠.

(٥٧) محمد عبد المولى، أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام. مرجع سابق، ص.٨٩.

(بتصرف).

(٥٨)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ٢:١٩٩.

(٥٩)انظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٣م، ٢: ١٨٠.

(٦٠)المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك. ٨أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٢: ٢٢٥.

(٦١)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ٢:٦٩.

(٦٢)الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ٢٤ جزء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.٢، دارالمعارف، القاهرة ـ مصر ١٩٦٧م، ٢:١٨٨.

(٦٣)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٧:٨٣.

(٦٤)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ٢:٢٩٩.

(٦٥)انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ. ١١ مجلدا، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م، ١: ٣٩٨.

(٦٦)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٧: ٧.

(٦٧) نفسه. ٦:٣٨٠.

(٦٨)ابن الأثير، الكامل في التاريخ. مصدر سابق، ١:٣٥٥.

(٦٩) نفسه، ١: ١٤٩. ١٦٥. ٢٥٢.

(٧٠)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ١: ١٨٩.

(٧١)حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام. مرجع سابق، ص. ١١٠.

(٧٢)ابن قتيبة الدينوري، المعارف. ط.٢، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر ١٩٩٢م، ص. ٢٨.

(٧٣)انظر: الإصطخري، المسالك والممالك. دار صادر، بيروت ٢٠٠٤م، ص. ١٩.

(٧٤)انظر: المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. مصدر سابق، ص. ١٠٣.

(٧٥)"كان الناس قبل المبعث من زمن نوح عليه السلام إلى زمن المبعث عباد أصنام إلا من استجاب للرسل منهم، وهذه الضلالة اشترك فيها العرب والعجم، وعبد كثير من العجم النار وهم المجوس"./ انظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد. مصدر سابق، ٢:١٧٥.

(٧٦)الشامي، سبل الهدى والرشاد. مصدر سابق، ٢: ١٧٧. (بتصرف).

(٧٧)سورة هود: من الآية ٥٣.

(٧٨)انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف. تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة ـ مصر (بدون تاريخ)، ص. ١٦٠./ ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط. ١، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص. ١٥٣./ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م، ٣: ١٨٤.

(٧٩)انظر: ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: صنم، ١٢: ٣٤٩.

(٨٠) سورة إبراهيم: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.

(٨١) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٨٢) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٨٣)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. مصدر سابق، ٥: ٤١٩.

(٨٤)ابن كثير، السيرة النبوية. ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٩٧١م، ١:٧٠.

(٨٥) سورة ص: الآية ٥.

(٨٦)ابن هشام، السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، جزآن، ط.٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ١:٨٢. (بتصرف).

(٨٧)السَّادِنُ: خادم الكعبة وبيتِ الأَصنام والجمع السَّدَنَةُ، وقال ابن بري: الفرق بين السَّادِنِ والحاجب أَن الحاجب يَحْجُبُ وإِذْنُه لغيره، والسَّادِنُ يحجب وإِذنه لنفسه، والسَّدْنُ والسِّدانة الحِجابة سَدَنه يَسْدُنه والسَّدَنة حُجَّاب البيت وقَوَمةُ الأَصنام في الجاهلية. ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: سدن، ١٣: ٢٠٧.

(٨٨) نفسه، ص.٨٣. (بتصرف).

(٨٩)الشامي، سبل الهدى والرشاد. مصدر سابق، ٢:١٧٥. (بتصرف).

(٩٠)سورة الزمر: الآية ٣.

(٩١)انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف. مصدر سابق، ص. ١٦٠./ ابن حبيب، المنمق

في أخبار قريش. مصدر سابق، ص. ١٥٣./ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. مصدر سابق، ٣: ١٨٤.

(٩٢)انظر: ابن حبيب، المحبر. مصدر سابق، ص. ١٧١.

(٩٣) جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مرجع سابق، ١٢: ٣٨.

(٩٤)المكان نفسه.

(٩٥)ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش. مصدر سابق، ص. ١٥٣.

(٩٦)انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف. مصدر سابق، ص. ١٦٠./ جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مصدر سابق، ١٢: ٣٧ وما بعدها.

(٩٧)انظر: ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٢: ٢٩٧.

(٩٨)الخليل بن أحمد، العين. ٨ أجزاء، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد ـ العراق ١٩٨٥م، ٣: ٢٤٨.

(٩٩)انظر: جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مصدر سابق، ١٥: ١٠٨ وما بعدها.

(١٠٠)انظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. مصدر سابق، ٢٣: ١٨٣./ الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك. تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط.٢، دار الحق، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٠م، ص. ٩٣.

(١٠١)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٢: ٤١٦.

(١٠٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. مرجع سابق، ١٢: ٣٨. (بتصرف).

(١٠٣)انظر: ابن حبيب، المحبر. مصدر سابق، ص. ١٧١.

(١٠٤)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٢: ٢٩٧. (بتصرف).

(١٠٥)ابن قتيبة، المعارف. مصدر سابق، ص. ٥٩.

(١٠٦)ابن إسحاق، السيرة النبوية. مصدر سابق، ص. ١١٧.

(١٠٧)انظر: البَلَاذُري، فتوح البلدان. مصدر سابق، ص. ٧٤.

(١٠٨)ابن كثير، السيرة النبوية. مصدر سابق، ١: ١٢.

(١٠٩)انظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد. مصدر سابق، ٤: ٢٨٥.

(١١٠)اختلف المؤرخون حول أول ملوك غسان./ انظر: جواد علي، المفصل فى تاريخ

العرب قبل الإسلام. مرجع سابق، ٦: ٩١.

(١١١) نفسه، ٦: ٨٩. (بتصرف).

(١١٢)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٨: ٦٩.

(١١٣)انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. مصدر سابق، ٩: ٣٦٤. (بتصرف).

(١١٤)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ٤: ٢٢٧.

(١١٥)المكان نفسه. (بتصرف).

(١١٦)انظر: محمد مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم. مرجع سابق، ص. ٣٩٩./ توفيق برو، تاريخ العرب القديم. مرجع سابق، ص. ٣٠٧./ عبد العزيز بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مرجع سابق، ص. ١٨٥.

(١١٧)سورة البقرة: الآية ٨٩.

(١١٨)الشهرستاني. الملل والنحل. ٣ أجزاء، مؤسسة الحلبي، (بدون تاريخ)، ٢: ١٥. (بتصرف).

(١١٩)ت وفيق برو، تاريخ العرب القديم. مرجع سابق، ص. ٣٠٧.

(١٢٠) جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. مرجع سابق، ١٢: ١٠٨.

(١٢١)ابن كثير، البداية والنهاية. مصدر سابق، ٣: ٢٨٩. (بتصرف).

(١٢٢)محمد إسماعيل الجوادي، اليهود في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين ٥ و٦م. جزآن، ط.١، دار الثقافة للطباعة والنشر، غزة ـ فلسطين ١٩٩١م، ١: ١٢١.

(١٢٣)انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. مصدر سابق، ٣: ٢٦٢.

(١٢٤)انظر: محمد أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم. ٣أجزاء، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٥هـ، ١: ٣٩.

(١٢٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ. مصدر سابق، ١:٥٣٨. (بتصرف).

(١٢٦)ابن كثير، السيرة النبوية. مصدر سابق، ١: ١١.

(١٢٧)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ١:٢٢٩. (بتصرف).

(١٢٨)نفسه. ١:٥٣٨.

(١٢٩)ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب. مصدر سابق، ص. ٧٦./ ابن قتيبة الدينوري، المعارف. مصدر سابق، ص. ٦٢١.

(١٣٠)ابن الأثير، الكامل في التاريخ. مصدر سابق، ١: ٥٢٥.

(١٣١)الزنديق: هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر. وقيل الملحد والدهري، وقيل الزندقة فرقة من الثنوية من المجوس. /البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع. تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط.١، مكتبة السوادي للتوزيع، ٢٠٠٣م، ص. ٤٦٢./ الأحمد نكري، دستور العلماء: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. ٤أجزاء، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٠م، ٢: ١١٣. /الرازي، مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.٥، الدار النموذجية والمكتبة العصرية، بيروت ، صيدا ـ لبنان ١٩٩٩م، ص. ١٣٨.

(١٣٢)القاضي عياض، إبطال النبوة: مشارق الأنوار على صحاح الآثار. جزآن، المكتبة العتيقة ودار التراث، (بدون تاريخ)، ١: ٣١١.

(١٣٣)المقدسي، البدء والتاريخ. مصدر سابق، ٤: ٣١.

(١٣٤)انظر: البَلَاذُري، فتوح البلدان. مصدر سابق، ص. ٧٠./ ابن حبيب، المحبر. مصدر سابق، ص. ٢٦٣.

(١٣٥)انظر: ابن المعتز، البديع في البديع. ط.١، دار الجيل، ١٩٩٠م، ص. ٤٧ وما بعدها./ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة. ٣ أجزاء، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)، ١: ٤./ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي. مرجع سابق، ص. ١٠٨.

(١٣٦)انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. مصدر سابق، ١٦: ١٧٤.

(١٣٧)انظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي. مرجع سابق، ص. ٥٠ وما بعدها. (بتصرف).

(١٣٨)انظر: ابن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير. تحقيق: الدكتور ناجي حسن، جزآن، ط.١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م، ١: ١٩١ وما بعدها./ البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف. ١٣جزء، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م، ١: ٢٦ وما بعدها.

(١٣٩)أبو عبيد البكري، المسالك والممالك. جزآن، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ١: ٩٠./ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط.٣، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ، ١: ٧٥.

(١٤٠)مرتَفَقاً أَي: متّكئاً./ الأزهري، تهذيب اللغة. مصدر سابق، ٩: ١٠٢.

(١٤١)اسْتَقَلَّت فِي السَّمَاءِ ارْتَفَعت وتَعالَت./ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. مصدر سابق، ٤: ١٠٤.

(١٤٢)شجاه يشجوه شجوا إذا حزنه./ ابن دريد، جمهرة اللغة. ٣أجزاء، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط.١، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م. ١: ٤٧٨.

(١٤٣)مُلْتَجَّةٌ: شَدِيدَةُ السَّوَادِ./ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ٦ أجزاء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٥: ٢٠٢.

(١٤٤)الغَيْطَل: الشّجر الملتفّ، وَجمعه غَياطل./ مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. مصدر سابق، ٣٠: ١٠٦.

(١٤٥)انظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ١٣ جزء، ط.٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م، ١: ٢٤.

(١٤٦)العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط.١، مكتبة الدار، المدينة المنورة ـ السعودية ١٩٨٥م، ص. ٣٨٧.

(١٤٧)ابن عبد ربه، العقد الفريد. ٨ أجزاء، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤٠٤هـ، ٣: ٣١٢. (بتصرف).

(١٤٨)الزجاجي، الأمالي. تحقيق: عبد السلام هارون، ط.٢، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م، ص. ٢٠٥.

(١٤٩)انظر: ابن الأعرابي، أسماء خيل العرب وفرسانها. تحقيق: حاتم الضّمان، ط.٢، دار البشائر، دمشق ـ سورية ٢٠٠٩م، ص. ٢٥ وما بعدها./ ابن قتيبة، عيون الأخبار. ٤أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ، ١: ٢٤٢ وما بعدها.

(١٥٠)انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء. جزآن، دار الحديث، القاهرة ـ مصر ١٤٢٣هـ، ١: ٦٤ وما بعدها. /ابن سلاّم، الأمثال. تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، ط.١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠م، ص. ٩١ وما بعدها.

(١٥١)أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٣م، بَابُ: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا، رقم: ٢٠٧٨٢، ١٠: ٣٢٢.

(١٥٢)عَكَظ دابَّتَه يَعْكِظُها عَكْظاً حبَسها، وتعَكَّظ القومُ تَعَكُّظاً إذا تَحَبَّسُوا لينظروا في

أُمورهم ومنه سميت عُكاظ./ ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: عكظ، ٤٤٧:٧.

(١٥٣)ابن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب. حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (بدون تاريخ)، ص. ١١٣.

(١٥٤)ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: عكظ، ٤٤٧:٧.

(١٥٥)انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مرجع سابق، ٨٠٣:١.

(١٥٦)النَّغْيَةُ مثل النَّغمة، وقيل النَّغْية ما يُعْجِبك من صوت أَو كلام وسمعت نَغْيةً من كذا وكذا أَي شيئاً من خبر./ ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق، مادة: نغى، ١٥: ٣٣٥.

(١٥٧)انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر. مصدر سابق، ١: ٨٠٣.

(١٥٨)النميري البصري، أخبار المدينة النبوية. ٤أجزاء، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط.١، دار الفكر، قم ـ إيران ١٤١٠هـ، ١: ٢٩١. (بتصرف).

(١٥٩)النميري البصري، أخبار المدينة النبوية. مصدر سابق، ١: ٢٩١. (بتصرف).

(١٦٠)عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجى، قصة الأدب في الحجاز. مكتبة الكليات الأزهرية، (بدون تاريخ)، ص. ١٧٩.

(١٦١)إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ط.٤، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م، ص. ١٨.

(١٦٣)أحمد شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي. دار المعارف، مصر، (بدون تاريخ)، ص. ٢٧٥.

قائمة المصادر والمراجع :

١ـالقران الكريم .
٢. الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب. تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن (بدون تاريخ).
٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ. ١١ مجلدا، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م.
٤. الإصطخري، المسالك والممالك. دار صادر، بيروت ٢٠٠٤م.
٥. الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط.١، مكتبة السوادي للتوزيع، ٢٠٠٣م.
٦. الأحمد نكري، دستور العلماء: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. ٤أجزاء، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٠م.
٧. الأسد، مصادر الشعر الجاهلي. ط.٧، دار المعارف، مصر ١٩٨٨م.
٨. الأزهري، تهذيب اللغة. ٨ أجزاء، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط.١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ٢٠٠١م.
٩. ابن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب. حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (بدون تاريخ) .
١٠. ببرو، تاريخ العرب القديم. ط.٢، دار الفكر، ٢٠٠١م.
١١. البَلَاذُري، فتوح البلدان. دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان ١٩٨٨م البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف. ١٣جزء، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م.
١٢. البكري، المسالك والممالك. جزآن، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
١٣. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط.٣، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ.
١٤. البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ١٣ جزء، ط.٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م.
١٥. ابن الأعرابي، أسماء خيل العرب وفرسانها. تحقيق: حاتم الضّمان، ط.٢، دار البشائر، دمشق ـ سورية ٢٠٠٩م.

١٦. البيهقي، السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٣م
١٧. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ٦أجزاء، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.
١٨. جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام. ٢٠ جزء، ط. ٤، دار الساقي، ٢٠٠١م.
١٩. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م.
٢٠. ابن الحائك الهمداني، صفة جزيرة العرب. مطبعة بريل، ليدن ـ هلندا ١٨٨٤م.
٢١. الحموي، معجم البلدان. ٧أجزاء، ط.٢، دار صادر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٥م.
٢٢. الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، ط. ٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ـ لبنان ١٩٨٠م.
٢٣ـالحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. جزآن، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكة، ط.١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ـ الأردن ١٩٨٤م.
٢٤. ابن حبيب، المحبر. تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ) .
٢٥. ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط. ١، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٦. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م.
٢٧. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ط.٢، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٩٨٨م.
٢٨. الخليل بن أحمد، العين. ٨ أجزاء، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد ـ العراق ١٩٨٥م.
٢٩. الدينوري، المعارف. ط.٢، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر ١٩٩٢م

٣٠. ابن دريد، جمهرة اللغة. ٣أجزاء، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط.١، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م.

٣١. الرافعي، التدوين في أخبار قزوين. ٤أجزاء، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م

٣٢. الرازي، مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.٥، الدار النموذجية والمكتبة العصرية، بيروت ، صيدا ـ لبنان ١٩٩٩م.

٣٣. الزركلي، الأعلام. ط. ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٣٤. أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم. ٣أجزاء، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٥هـ.

٣٥. الزجاجي، الأمالي. تحقيق: عبد السلام هارون، ط.٢، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م.

٣٦. ابن سعد، الطبقات الكبرى. ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ط.١، دار صادر، بيروت ـ لبنان ١٩٦٨م.

٣٧. ابن سلاّم، الأمثال. تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، ط.١، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠م.

٣٨. الشامي، سبل الهدى والرشاد. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٣م.

٣٩. الشهرستاني. الملل والنحل. ٣ أجزاء، مؤسسة الحلبي، (بدون تاريخ) .

٤٠. شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي. دار المعارف، مصر، (بدون تاريخ) .

٤١. بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة. مكتبة الأنجلو المصرية، (بدون تاريخ) .

٤٢. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن. ٢٤جزء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط.١، مؤسسة الرسالة، لبنان٢٠٠٠م.

٤٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ٢٤ جزء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.٢، دارالمعارف، القاهرة ـ مصر ١٩٦٧م.

٤٤. الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك. تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط.٢، دار الحق، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٠م.

٤٥. العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. ٤ أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٩٩٨م.

٤٦. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ٤ أجزاء، ط.١، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م.

٤٧. عبد المولى، أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام. ط.١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٦م.

٤٨. عياض، إبطال النبوة: مشارق الأنوار على صحاح الآثار. جزآن، المكتبة العتيقة ودار التراث، (بدون تاريخ).

٤٩. العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط.١، مكتبة الدار، المدينة المنورة ـ السعودية ١٩٨٥م.

٥٠. ابن عبد ربه، العقد الفريد. ٨ أجزاء، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤٠٤هـ.

٥١. عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجى، قصة الأدب في الحجاز. مكتبة الكليات الأزهرية، (بدون تاريخ)

٥٢. عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ط.٤، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م.

٥٣. غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي. ط.١، مؤسسة الرسالة، لبنان ٢٠٠٣م.

٥٤. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ٦ أجزاء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥٥. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. ٢٠ جزء، ط.٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.

٥٦. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة. ٣ أجزاء، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٥٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء. جزآن، دار الحديث، القاهرة ـ مصر ١٤٢٣هـ.

٥٨. كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ٥ أجزاء، ط. ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ١٩٩٤م.

٥٩. ابن كثير، البداية والنهاية. ١٢ جزء، تحقيق: علي شيري، ط.١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٨٨م.

٦٠. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. ٨أجزاء، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٦١. ابن كثير، السيرة النبوية. ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٩٧١م.

٦٢. الكلبي، نسب معد واليمن الكبير. تحقيق: الدكتور ناجي حسن، جزآن، ط.١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م.

٦٣. ابن قتيبة، عيون الأخبار. ٤أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ.

٦٤. اللاهوري، حياة محمد (ﷺ) ورسالته. ترجمه إلى العربية: منير بعلبكى، ط.٢، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ١٣٩٠هـ.

٦٥. لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة. ط.٢، دار المعرفة الجامعية، (بدون تاريخ).

٦٦. ابن المستوفي الإربلي، تاريخ إربل. تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م.

٦٧. المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. تحقيق: عبد الله الصاوي، ط. ٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م.

٦٨. المقدسي، البدء والتاريخ. ٦أجزاء، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ـ مصر (بدون تاريخ).

٦٩. مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم. دار المعرفة الجامعية، (بدون تاريخ).

٧٠. محفوظ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام. ط.١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الخرطوم ـ السودان ١٩٨٧م.

٧١. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك. ٨أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧٢. مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام. ط.١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ـ مصر ١٩٨٧م.
٧٣. المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. تحقيق: عبد الله الصاوي ، ط. ٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م.
٧٤. المسعودي، التنبيه والإشراف. تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة ـ مصر (بدون تاريخ).
٧٥. ابن منظور، لسان العرب. ١٥جزء، ط.٣، دار صادر، بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ.
٧٦. مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم. دار المعرفة الجامعية، (بدون تاريخ).
٧٧. ابن المعتز، البديع في البديع. ط.١، دار الجيل، ١٩٩٠م.
٧٨. النميري البصري، أخبار المدينة النبوية. ٤أجزاء، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط.١، دار الفكر، قم ـ إيران ١٤١٠هـ.
٧٩. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. ٣٣ جزء، ط.١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ـ مصر ١٤٢٣هـ.
٨٠. الويسي، اليمن الكبرى. ط.٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء ـ اليمن ١٩٩١م.
٨١. الهمداني، صفة جزيرة العرب. مطبعة بريل، ليدن ـ هلندا ١٨٨٤م.
٨٢. ابن هشام، السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، جزآن، ط.٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.